9Marks

لماذا نثق بالكتاب المقدَّس؟

غريغ غيلبرت

”يحتاجُ المسيحيّونَ في هذه الأيام، وأكثر من أيٍّ وقتٍ مضى، أن يعرفوا كيف يدافعونَ عن حقيقة ”كلمة الله“ وسطَ عالمٍ تزدادُ فيه العدوانية. يعرضُ غيلبرت في هذا الكتاب الموجَّه إلى المسيحيِّين وغير المسيحيِّين على حدٍّ سواء، حُججًا قويَّةً تدعمُ مصداقيَّة الكتابِ المقدَّس، وبذلك يزوِّد المؤمنين بأداواتٍ هامَّة تساعده للوصول إلى عالَمٍ متشكِّك“.

جوش ماكدويل (Josh McDowell)

كاتبٌ ومتحدِّث

”هذا الكتابُ يسدُّ احتياجًا كبيرًا في زمنٍ يطرحُ فيه الناسُ جميعَ أنواعِ الأسئلةِ المشروعةِ في ما يخصُّ الكتابَ المقدَّس ومدى مصداقيَّته قبل أن يلقوا نظرةً عليه. يجيب كتاب غريغ غيلبرت عن ذلك السؤال بدراسة مجموعةٍ من القضايا التي يثيرُها الناسُ عادةً كي لا يطَّلعون على الكتابِ الأعظمِ هذا. كما يُظهر بلغةٍ سهلةٍ، لماذا يمكنُنا الوثوق بالكتابِ المقدَّس وبما يقوله عن الحياة“.

داريل. إل. بوك (Darrell L. Bock)

المديرُ التنفيذي لمركز هوارد. جي. هندريكس (Howard G. Hendricks) للارتباط الثقافي، وأستاذٌ باحثٌ في دراساتِ العهد الجديد في كلية لاهوت دالاس (Dallas Theological Seminary)

”هل يمكنُنا أن نثقُ بالكتابِ المقدَّس حقًّا؟ هذا سؤالٌ مهمٌّ يستحقُّ التفكير، ولا سيَّما في مواجهةِ التَّشكيكِ الذي يهيمنُ على ثقافتنا. يتناولُ غريغ غيلبرت هذا السؤال مباشرةً، مقدِّمًا إجاباتٍ واضحةٍ ومُقنعةٍ ستساعد القارئ على الوثوقِ بالكتابِ المقدَّس. يُعدُّ هذا الكتاب مصدرًا مهمًّا لتجهيز المسيحيّين للدفاعِ بحماسٍ عن الكتاب المقدَّس، كما يتحدَّى المتشكِّكينَ ليعيدوا النظر في موقفهم. لقد استفدتُ إلى حدٍّ كبيرٍ من قراءة هذا الكتاب“.

كريستيان ويغيرت (Christian Wegert)

قسّ راعي، آرك جيماينذ (Arche Gemeinde)، هامبورغ، ألمانيا

”يقدّمُ هذا الكتابُ المتميِّزُ ملخَّصًا رائعًا من الأدلَّةِ لدعم الجانبِ التاريخيّ للكتاب المقدَّس. ويمكن القول أيضًا، إنَّه مختصرٌ وشاملٌ وسلِسٌ في القراءة ومُقنِعٌ. لا أشجِّع فقط على قراءته، بل أسعى إلى إعطائه لكثيرٍ من أصدقائي- سواء المؤمنينَ منهم أم المتشكِّكين“.

وِليام تايلور (William Taylor)

عميد جامعة القديسة هيلين بيشوبسجيت (St. Helen’s Bishopsgate)، لندن. مؤلِّف كتاب فَهمُ الأزمنةِ والشراكة (Understanding the Times and Partnership)

”أعرفُ الكثيرَ من التلاميذ الذين يعلَمون بأنَّه عليهم الوثوق بالكتابِ المقدَّس، ولكنَّهم لا يعلَمونَ السَّبب، لذا في الغالب لا يثقونَ به. يتناولُ هذا الكتابُ هذا السؤالَ بوضوحٍ وسهولة. إنّه مكتوبٌ بطريقةٍ مدروسةٍ جيِّدًا ومبسَّطةٍ. إنَّ هذا الكتابَ واحدٌ من المراجع التي أوصي بها للباحثين الجادّين والمؤمنين الجدد“.

جي. دي. غرير (J. D. Greear)

قسّ كنيسة القمة (The Summit Church)، دورهام، كارولاينا الشمالية، مؤلِّف، يسوع، استَمرَّ... لماذا الروح في داخلك أفضل من يسوع إلى جانبك (Jesus, continued… Why the Spirit inside Inside You Is Better Than Jesus Beside You)

”يضعُ غريغ غيلبرت دليلًا مُقنعًا، وكذلك مسارًا مهمًّا للوثوق بالكتابِ المقدَّس. كما يؤسِّس رابطًا بسيطًا بطريقةٍ مُذهلةٍ من شعورٍ جيّدٍ ينسجُ طريقَه عبرَ عدَّة حججٍ معقَّدة حول مصداقيَّة الكتاب المقدَّس باعتباره وثيقةً تاريخيَّة. للذين يتحرَّون عن الكتاب المقدَّس- ولأولئك الذين يحبّونَه ويحبُّونَ مشاركته- ينيرُ لهم هذا الكتابُ الطريقَ، ليس فقط للتفكير بصورةٍ أفضل، وإنَّما للقاء المسيح المُقام أيضًا“.

كاثلين. ب. نيلسون (Kathleen B. Nielson)

مديرة المبادرات النسائية (Women’s Initiatives)، ائتلاف الإنجيل (The Gospel Coalition)

لماذا نثق
بالكتاب المقدَّس؟

لماذا نثق بالكتاب المقدَّس؟

غريغ غيلبرت

Why Trust the Bible?

Copyright © 2015 by Gregory D. Gilbert

Published by Crossway
1300 Crescent Street
Wheaton, Illinois 60187

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form by any means, electronic, mechanical, photocopy, recording, or otherwise, without the prior permission of the publisher, except as provided for by USA copyright law.

Cover design: Matthew Wahl

First printing 2015

Printed in the United States of America

Unless otherwise indicated, Scripture quotations are from the ESV® Bible (The Holy Bible, English Standard Version®), copyright © 2001 by Crossway, a publishing ministry of Good News Publishers. Used by permission. All rights reserved.

Scripture quotations marked NASB are from *The New American Standard Bible®*. Copyright © The Lockman Foundation 1960, 1962, 1963, 1968, 1971, 1972, 1973, 1975, 1977, 1995. Used by permission.

Scripture references marked NIV are taken from The Holy Bible, New International Version®, NIV®. Copyright © 1973, 1978, 1984, 2011 by Biblica, Inc.™ Used by permission. All rights reserved worldwide.

Scripture references marked NRSV are from *The New Revised Standard Version*. Copyright © 1989 by the Division of Christian Education of the National Council of the Churches of Christ in the U.S.A. Published by Thomas Nelson, Inc. Used by permission of the National Council of the Churches of Christ in the U.S.A.

Scripture quotations marked KJV are from the *King James Version* of the Bible.

All emphases in Scripture quotations have been added by the author.

Trade paperback ISBN: 978-1-4335-4346-3
ePub ISBN: 978-1-4335-4349-4
PDF ISBN: 978-1-4335-4347-0
Mobipocket ISBN: 978-1-4335-4348-7

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

Gilbert, Greg, 1977–
Why trust the Bible? / Greg Gilbert.
pages cm.—(9Marks books)
Includes bibliographical references and index.
ISBN 978-1-4335-4346-3 (hc)
1. Bible—Evidences, authority, etc. I. Title.
BS480.G55 2015
220.1—dc23 2015007181

Crossway is a publishing ministry of Good News Publishers.

LB 24 23 22 21 20 19 18 17 16 15
14 13 12 11 10 9 8 7 6 5 4 3 2 1

كل الاقتباسات من الكتاب المقدس مأخوذة من الترجمة العربية المبسَّطة، إلا إذا ذُكر غير ذلك.

إهداء

إلى أمّي وأبي أول من علَّمني
أنّ الكتابَ المقدَّس- والمخلِّصَ المُعلَنَ فيه-
يستحقُّ الوثوقَ به

المحتويات

الفصل ١: لا تصدِّق كلَّ ما تقرأهُ	١١
الفصل ٢: هل هناك ضَيَاعٌ في الترجمة؟	٢٩
الفصل ٣: نسخٌ من نُسخٍ من نُسخٍ من نُسخ؟	٤٣
الفصل ٤: هل هذه الأسفار هي حقًّا التي تبحث عنها؟	٦٣
الفصل ٥: لكن هل يمكنني الوثوق بك؟	٨٣
الفصل ٦: إذًا هل ذاك هو ما حَدَث؟	١١١
الفصل ٧: اقْبَلهُ استنادًا إلى كلمة الرَّجُلِ المُقام	١٣٥
كلمة أخيرة: السؤال التالي	١٥٣

الفصل ١

لا تصدِّق كلَّ ما تقرأهُ

"لا تصدِّق كلَّ ما تقرأهُ،" جميعُنا يعلَمُ هذه المَقولة.

لا سيَّما في عصرِ الإنترنت الذي نحيا فيه، فالشخصُ المُضلَّلُ هو فقط من ينظرَ إلى كلِّ ما يقرأه على أنَّه حقيقةٌ مُطلَقة. عند تصفّحنا للصحف والمجلاتِ وخدماتِ "الأخبار" التي نحصل عليها من الإنترنت، يمكننا أن نتعلَّم إحدى أكثر المهارات قيمَةً: وهي إظهار الفرق بين الحقيقةِ والخيال، وبين ما هو حقيقيٌّ وما هو مُختَلَق. لا نريد أن نكونَ سذَّجًا، ونحن على حقٍّ أننا لا نريد ذلك.

في عائلتي، نسعى أنا وزوجتي بكلِّ الطرقِ إلى تعليم أبنائنا مهارةَ القراءةِ والاستماعِ بعنايةٍ، وعدم قَبول كلَّ ما يقرأونَه أو يسمعونَه بمعناهُ الظاهري، وأن يمتحنوا كلَّ شيءٍ للتحقُّق من إنَّه جديرٌ بالثقة. حتّى مع ابنتنا ذاتِ الخمسِ سنوات، نعمل على محاولة تعليمها كيف تميِّز الفرقَ بين الأمور الحقيقية والأمور المُختَلَقة، والتي هي "مجرَّد قصَص". وقد أصبحت جيدةً جدًّا في ذلك:

- كان جورج واشنطن أولَ رئيسٍ للولايات المتَّحدة.
  "هذه حقيقةٌ يا أبي".

- حصل العمُّ مات على عملٍ جديد، وانتقل إلى مدينةٍ أخرى. "هذه حقيقةٌ أيضًا".
- طارد باتمان الجوكَر، ووضعه في السجن. "لا، هذه مجرَّد قصَّة".
- بَنَت إلسَا قلعةً من الجليد مستخدمَةً قوَّة تجميد الهواء التي لديها. " مجرَّد قصَّة".
- حَلَّق سوبرمان في الهواء. "قصَّة".
- منذ زمنٍ بعيد، في مجرَّةٍ بعيدةٍ، بعيدةٍ جدًّا... "قصَّة!"

ولكن بعد ذلك، تخيَّل أن أرمَي لها فكرةً قويَّةً مخادعة. رجلٌ اسمُه يسوع، وُلِدَ من عذراء قبلَ نحوَ ألفَي سنة، ادَّعى أنَّهُ الله، فعَلَ معجزاتٍ كالمشي على الماء وأقامَ أناسًا من الموت، صُلِبَ على صليبٍ روماني، ثمَّ قام من بين الأموات وصَعد إلى السماء، حيث يحكُم الآن إذ هو ملك الكَون.

كيف يُفتَرَض أن تتجاوبَ مع هذه القصَّة؟ "هل هي حقيقة؟" إن كنتَ تؤمِنُ بالمسيح، فإنّني متأكِّدٌ من أنَّك ستجيبُ وبحزمٍ "إنَّها حقيقةٌ". ولكن فلنكن صادقين. يعتقد معظمُ الناس في ثقافتنا أنَّه من الغريب جدًّا لأناسٍ طبيعيين، أن ينظروا إلى هذه القصَّة بصورةٍ جدّيَّة. وإذا سنحَت لهم الفرصة، ربما يبتسمونَ بتهذيبٍ ويسألون "حسنًا، أليسَ من المنطقيِّ- وسيكون الأمرُ أقلَّ سخافة- أن يعترفَ الجميعُ بأنّ كلَّ هذه القصصِ الخياليةِ عن يسوع هي مجرَّد قصصٍ؟ أليسَ من غير المعقول أن تُؤخَذَ هذه القصصُ على محمَل الجِدّ، وكأنّها حقيقيةٌ؟"

من واقع خبرتي، كمسيحيٍ وكقسٍّ، من المشجِّع جدًّا رؤية حزم المؤمنين وثباتهم في ثقتهم بالكتابِ المقدَّس. إنّهم يؤمنونَ به، ويراهنون بحياتهم عليه، كما يحاولونَ أيضًا طاعتَه. فعندما يقرأون أمرًا يتحدّى معتقداتهم وسلوكياتهم، يحاولونَ الخضوعَ له. باختصارٍ، يسمحون للكتابِ المقدَّس أن يعملَ كأساسٍ لحياتهم وإيمانهم. ولكن بالرغم من جميع هذه الإشارات المشجِّعة، أرى من تجربتي أنّ كثيرًا من المؤمنين لا يعرفون كيف يوضّحون سبب ثقتهم بالكتابِ المقدَّس. إنّهم يثقون به فقط.

تجدهم يقدِّمون الكثيرَ من الأسباب. أحيانًا يقولون إنّ الروحَ القدسَ قد أقنعهم به. وأحيانًا أخرى يشيرون إلى أنَّ أفضلَ دليلٍ على صحّة الكتابِ المقدَّس هو عملُه في حياتهم، أو ربَّما أنَّه ببساطة يحتوي على "خاتَم الحقيقة". قد يشير البعضُ إلى الاكتشافات الأثرية التي أكّدت بعض أقوال الكتاب المقدَّس. في حين قد ينفُض البعضُ أيديَهم عندما يُضغط عليهم، قائلين: "حسنًا، يجب أن تقبلَه بالإيمان فقط".

الآن، كلُّ هذه النقاط هي أسبابٌ شرعيَّة بالنسبة للمؤمنين المسيحيين لكي يثقوا بالكتابِ المقدَّس. ولكن مهما قلنا عن هذه الإجابات، لن يكونَ أيٌّ منها سببًا مُقنعًا لشخصٍ لا يثقُ بالكتابِ المقدَّس، فلَن تدفعه هذه الأسبابُ لأن يثقَ به. بل على العكس تمامًا، فعندما يُجيبُ المؤمنُ على الهجوم الذي يُثار ضد الكتاب المقدَّس بإجابةٍ مثل "يجب أن تقبلَه بالإيمان فقط"، على الأرجح سيسمعُ الطرفُ المهاجمُ تلكَ الإجابة بأنَّها تأكيدٌ لجميع شكوكه، وسيبتعد مُعلنًا الانتصار. كلُّ ما سيفكِّر فيه هو أنَّك لا تملك أيَّ سببٍ للإيمان بالكتابِ المقدَّس. أنت تثق به فقط بسبب الإيمان.

إذًا، إذا كنت مؤمنًا، فلأسألك بصراحة: لماذا تثقُ بالكتابِ المقدَّس؟ كيف تفسِّر سبب ثقتك به لشخصٍ لا يؤمن بالكتابِ المقدَّس؟ أتمنى مع نهاية هذا الكتاب، أن تكونَ قادرًا على الإجابة عن هذا السؤال. ليست مجرَّد إجابة تشعرُكَ بالراحة بينما يشعرُ الآخرُ بأنه قد ربح الجدال، وإنَّما إجابةٌ تُقنعَه على الأقل بأنَّه يحتاج إلى المزيد من التفكير. كتب الرسولُ بطرس في رسالتِه (١بط٣:١٥) أنَّه علينا كمؤمنين أن نكونَ "مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ".

في يومنا هذا، هذا الدفاع لا بدَّ أن يجيب عن السؤال الأول، لأنه قبل الوصول إلى أسئلةٍ مثل من هو يسوع؟ أو ما هي بشارةُ الإنجيل؟ هناك سؤالٌ يُغضِب الكثيرين حولنا- سؤالٌ يرغبون في طرحه ولكن (إن كانوا مُخلصين) يشكّون في مقدرتنا على إجابتهم. لماذا تثقُ بالكتاب المقدَّس في الأساس؟

سلاحفُ متراكِمةٌ بعضها فوق بعض

اسمحوا لي قبل أن أتابعَ حديثي، أن أعترفَ بأمرٍ صريحٍ. أنا مؤمنٌ مسيحيٌّ مقتنعٌ تمامًا بكلِّ ما تُخبر به الأمُّ ابنَها المسيحي لكي ينتبهَ إليه. إنَّني أومنُ بأنَّ الكتابَ المقدَّس حقيقي، أومنُ بأنَّ البحرَ الأحمرَ انشقَّ إلى نصفَين، وبأنَّ أسوارَ أريحا قد سقطت. أومنُ بأنّ يسوعَ مشى على المياه، وبأنَّه شفى البعضَ وأخرجَ شياطينَ من البعض الآخر. أومنُ بأنَّ اللهَ قد أغرقَ العالمَ في الطوفان وأنقذَ نوح، وبأنَّ سمكةً عملاقةً قد ابتلعَت يونان، كما أومنُ أنَّ يسوعَ وُلِدَ من عذراء. وعلاوةً على كلِّ ذلك، أومنُ أنَّ يسوعَ ماتَ وقامَ من الأموات- ليس بمعنىً روحي أو مجازيّ، وإنّما بمعنىً جسديٍ ومؤرَّخٍ تاريخيًّا. أومنُ بكلِّ ذلك.

في الواقع، لا فائدةَ من التظاهرِ بخلافِ ذلك: إنَّ السببَ الرئيسي الذي يجعلني أومنُ بصحّةِ الكتابِ المقدَّس، هو تحديدًا قيامةُ يسوعَ من بين الأموات. الآن، سواء اتَّفقتَ معي على حقيقةِ القيامة أم لم تتَّفقْ، على الأرجح يمكنك أن ترى كيف أنَّ إيماني بتلك الحقيقة يقودني بسرعةٍ وقوةٍ نحو الثقة بالكتاب المقدَّس. إن كان يسوعُ قد قام من الأموات، فبهذه الحالة يكون الاستنتاجُ المُحتَمل الوحيد الذي يمكن التوصّل إليه، والصادق فكريًّا، هو أنّ ما ادّعاهُ عن نفسِه حقيقةٌ. إذا كان يسوعُ قد قامَ من القبر بالطريقة التي وصفها الكتابُ المقدَّس، إذًا فهو ابنُ الله حقًّا. إنّه تمامًا كما قال، ملكُ الملوك وربُّ الأرباب، الطريقُ والحق والحياة، وهو حكمةُ الله. وإذا كان ذلك صحيحًا، فسيكون من المنطقيّ أن يعلَم ما يتحدث عنه (أليسَ كذلك؟)، لذا يجب أن نُصغِ إليه.

أيضًا هناك سببٌ يتجاوز أيّ شكٍّ منطقي، وهو أنَّ يسوعَ صدَّق الكتابَ المقدَّس. إذ كان من الواضح جدًّا إيمانُه بالعهد القديم، فقد كان يذكره مرارًا وتكرارًا في تعليمه، لقد صادَقَ يسوعُ عليه وأقرَّ بأنَّه كلمةُ الله. أمَّا العهد الجديد، ومع أنَّه كُتِب بعد انقضاء أيَّامه على الأرض بسنواتٍ، فهو في النهاية يدورُ بالكامل حول سلطانِ يسوع نفسه، وقد عَرَفَ المسيحيّون الأوائل ذلك. في الواقع، لقد استخدموا معيارَين أساسيَّين لمعرفة الكتب الموثوقة، هما: (١) تصديق أحد رسُل يسوع على تلك الوثائق (٢) مطابقَتها مع تعاليم يسوع نفسه. سنتحدث عن هذا الأمر لاحقًا، ولكنَّ النقطةَ واضحةٌ جدًّا. بمجرَّد إقرارك بأنّ يسوعَ قام من بين الأموات، سيتبع هذا سريعًا إقرارُك بسلطانِ الكتاب المقدَّس بقوةٍ وبصورة تلقائية.

إنَّني مُدركٌ أنّ هذه القضيةَ عميقةٌ ومُدهشةٌ، ولكن إليك السؤال:

كيف يبدأ هذا معكَ بالضبط؟ بكلماتٍ أخرى، كيف يمكنك أن تصل إلى نقطة الإيمان بأنَّ يسوعَ قد قام فعلًا من الموت؟ إذ لا يمكنكَ القَول إنَّك تؤمنُ بالقيامة لمجرَّد أنَّ الكتاب المقدَّس قال إنّها قد حدثَت، وإنَّك تؤمنُ بما يقوله الكتاب المقدَّس لمجرَّد أنَّ يسوعَ قامَ من الموت، وإنَّك تؤمنُ بالكتابِ المقدَّس لمجرَّد أنّ... لا بدَّ أنَّك أدركتَ النقطةَ التي أريدُ الوصولَ إليها، أليسَ كذلك؟ ستصبحُ المسألةُ كلُّها عبارةً عن حلقةٍ مُفرَغةٍ مثيرةٍ للسخريةِ واليأس. إنَّها تذكِّرني بطفلٍ صغيرٍ سألَه معلِّمُه، "لماذا لا يسقُطُ العالمُ في الفضاء؟" أجابَ الصَّبي "لأنَّه يجلسُ على ظهرِ السُّلحفاة".

سألَه المعلِّمُ: "ولماذا لا تسقطُ السُّلحفاة؟" أصرَّ الصبي قائلًا: "لأنَّها تقفُ على ظهرِ سُلحفاةٍ أُخرى". فسألَه المعلِّمُ مرةً أُخرى "ولماذا لا تسقطُ تلك السُّلحفاة؟" قال الصَّبي بعد تفكيرٍ عميق "حسنًا، من الواضحِ أنَّ السلاحِفَ تتراكمُ بعضها فوق بعض كلَّما نظرتَ نحوَ الأسفل".

قبل أن نمضي قُدمًا، علينا الاعتراف بأنّ المسألةَ لنا جميعًا تبدو بطريقةٍ أو بأخرى وكأنَّها سلاحف متراكمة بعضها فوق بعض، بغضّ النظر عمَّا تعتبره مصدر السلطة النهائية لمعرفتك. هذه المسألة تؤثِّر في الجميع، لا في المؤمنين بالمسيح فقط؛ إذا سألتَ شخصًا عقلانيًّا عن سبب ثقته بِعِلَّةٍ ما، ستكون إجابته "لأنَّها منطقية". وإذا سألتَ عالِمةَ منطقٍ عن سبب ثقتها بالمنطق، ستجيبكَ "لأنَّه منطقي". وإذا سألتَ شخصًا يتمسَّك بالتقاليد عن سبب ثقته بالتقليد، سيجيب "لأنّ الجميع وثقوا بالتقاليد". في جميع هذه الحالات، نصرخ لمعرفة المزيد؛ لماذا أولًا يثقُ الإنسانُ بِعِلَّةٍ ما، أو بالمنطق أو بالتقليد؟ قد يقول البعضُ إنّ المنطقَ

أكثر مصداقيَّةً من التفسيرات الروحية، لأنَّك تستطيع رؤية الدليل لدعم الادّعاءات الأخرى. ولكن حتّى هذه الحجّة تقوم على افتراضاتٍ محدَّدة تدور حول نوع الدليل ومدى شرعيته- وهذا أمرٌ منطقيّ. هل ترى ذلك؟ بطريقةٍ أو بأخرى، ينتهي بك الأمرُ بوجودِ سلاحفَ متراكمة بعضها فوقَ بعض للجميع. في الحقيقة، أعتقد أنَّها إحدى الطرق التي يذكِّرنا بها الله بأنَّنا محدودون- فالأمرُ المحفورُ بعمقٍ في مفهوم معنى الإنسان هو التذكير الأكيد بأننا لا نستطيع فَهمَ كلِّ شيء.

مع ذلك، هذا لا يعني أن نستسلم ونتخلَّى عن السعي وراء معرفةِ أيِّ شيء. وإن كان صحيحًا في بعض المفاهيم الفلسفيَّة والمعرفيَّة أننا في النهاية يجب أن نقف على طريقة تفكيرٍ دائرية، لكنَّ هذا لا يعني أنَّه لا يمكننا التوصّل إلى بعض الاستنتاجات الموثوقة عن طبيعة الواقع. بالتأكيد هناك بعض الفلاسفة المتطرِّفين ممَّن استسلموا وقالوا "حسنًا، هذا هو الأمر! باعتقادي لا يمكننا معرفة أيّ شيء!" ولكن يميل هذا النوع من التفكير إلى إسقاطك في زنزانةٍ انفراديَّةٍ معرِفيَّة (لا يمكننا معرفة أيّ شيء، ولا أيّ شخص) بحيث القليل جدًّا منّا سيجدون أنفسهم إمَّا منجذبين وإمَّا مضطرين. وهكذا سيبدأ معظمنا ببساطة بقليلٍ من الافتراضات المسبقة- مثال، العِلَّةُ مفهومة، المنطقُ منطقيٌّ، أحاسيسُنا جديرةٌ بالثقة، نحن والعالم موجودون حقًّا، فنحنُ لسنا مجرَّد "أدمغةٍ في وعاء"- ومن ثَمَّ ننطلق من تلك الافتراضات لنستخلص استنتاجاتٍ عن أنفسنا، وعن التاريخ، والعالم من حولنا، ومختلَف الأمور.

ولكن توقَّف للحظة، إنّ حقيقة اضطرارنا إلى افتراض بعض الأمور، لا يعني أنه يمكننا افتراض أيَّ أمرٍ نريده. مثلًا، لا يمكنُكَ افتراضُ أنَّك رئيس

الولايات المتحدة والتصرُّف وفقًا لهذا الافتراض. ولا يمكنُكَ الافتراض بأنك إلهٌ وأنَّ كلَّ ما تعتقده هو هكذا في الواقع. كما لا يمكنُكَ افتراض أنّ العدد الأخير من مجلَّة National Enquirer هو كلمة الله التي تقدِّم لك صورةً دقيقةً عن الواقع. لا مبرِّر لهذه الافتراضات على الإطلاق، وسوف يسخر الناسُ منك إن صدّقتها، وربما يحجرونَ عليكَ أيضًا! ولكن هناك عددٌ ليس بقليلٍ ممَّن يقولون إنّ المسيحيّين يتعاملون مع الكتاب المقدَّس وفقًا لهذه الطريقة. فقد افترضنا أنَّه كلمةُ الله، بالرغم من عدم وجود سببٍ وجيه إطلاقًا، وأنَّ كلَّ ما كُتب فيه حقيقي، لذا فإنّ يسوع قد قام من بين الأموات.

ولكن ماذا لو كان هذا الخطأُ المزعوم ليس بتلك الفظاعة؟ ماذا لو كانت هناك وسيلةٌ للتوصّل إلى استنتاجٍ جيِّدٍ وموثوق يفضي إلى أنّ يسوع قام حقًّا من بين الأموات، دون الافتراض أنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله؟ إذا استطعنا القيامَ بذلك، سنصبحُ قادرين على تجنُّب تهمةِ الحلقة الدائرية الـمُفرغة التي لا مبرِّر لها. ويمكننا القَول، إنه حتّى قبل الإقرار بأنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله، توصَّلنا إلى نتيجةٍ حاسمةٍ بأنّ يسوع قد قام من الأموات. وعلى أساس تلك النتيجة الموثوقة، قَبِلنا أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله. هذا النوع من الإيمان يختلف عن ذاك الذي يعتمد ببساطة على "قفزة الإيمان". فهو ليس مجرَّد دفاعٍ أمام اعتراضات المتشكِّكين فقط، ولكنَّه يتحدَّى المتشكِّكين في عدم إيمانهم. قد يكون بمثابةِ حافزٍ ملهِمٍ، كما كتب الرسول بطرس في رسالته (١بط٣:١٥) "سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ".

المسيحيَّةُ كتاريخ

السؤال هنا، هل هناك حقًّا طريقةٌ للقيام بذلك؟ لِحسْم القضيةِ الجدليَّة، برأيي هناك طريقة، وهي بواسطة التاريخ. بعبارةٍ أخرى، فلنتناول الوثائق التي تشكِّل العهد الجديد، ليس باعتبارها كلمة الله ولكن ببساطة باعتبارها مجرَّد وثائقَ تاريخيَّة، وعلى هذا الأساس، فلنحاول أن نرى فيما لو استطعنا التوصّلَ إلى استنتاجٍ موثوقٍ يؤكِّد أنّ يسوع قد قام من الموت. حتّى مَن لا يؤمن بالمسيح، يجب ألّا يكون لديه اعتراضٌ على هذا. في النهاية، إنّ دراسةَ العهد الجديد كمجموعةٍ من الوثائق التاريخية لا يتطلَّب وضعًا خاصًّا، ولا مطالباتٍ خاصة بالحقّ. دعْ هذه الوثائق تتحدث عن نفسها في "محكمة الرأي التاريخي" كما كانت سابقًا.

بالإضافةِ إلى ذلك، إنّ دراسة العهد الجديد كوثيقةٍ تاريخيَّة، يجب ألاّ تثير اعتراضاتٍ بين المؤمنين المسيحيين. ففي النهاية، لن يتم التعامل معه إلّا وفقًا لِما يستحق. فالعهدُ الجديد يكشفُ عن نفسِه بأنَّه وثائقٌ تاريخيَّة، أراده كتّابُه أن يكون مستندًا تاريخيًّا. لنأخذ البشير لوقا على سبيل المثال، بدأ إنجيلَه موضِّحًا أنَّ هدفه هو أن يقدِّم لقارئه قصَّةً منظَّمةً عن حياة يسوع وتعاليمه "رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي..." (لو١:٣). بغضّ النظر عن شرحك لهذه الكلمات، وأيًّا كان تفكيرك تجاه ما قامَ به لوقا، إلّا أنّه من المؤكَّد كتبَ تاريخًا. بكل تأكيد، تختلف طريقةُ كتابةِ التاريخ في العالم القديم عن طريقة كتابته في أيامنا هذه، ولكن ما زالت الفكرة الأساسية هي نفسها- كان المؤلِّفون يكتبون رواياتٍ عن أحداثٍ اعتقدوا أنّها حدثت فعلًا. وباعتبار أنّ لوقا وغيره من المؤلِّفين قد قاموا بهذا النوع من العمل،

فمِن المنطقي أن نستمع لِما كتبَه هو وغيره من الكتّاب بالطريقةِ التي أرادوا إيصالها إلينا طوال الوقت.

والأكثر من ذلك، تقدِّم المسيحيَّةُ نفسَها كتاريخٍ أكثر من كلِّ الديانات الأخرى في العالم. إنّها في المقام الأول، ليست مجرَّد قائمةٍ من التعاليم الأخلاقية أو مجموعةٍ من التأمُّلات الفلسفيَّة أو "الحقائق" الصوفيَّة، أو حتّى خلاصةٍ من الأساطير والخرافات. ولكن المسيحيَّة في جوهرها، هي إعلانٌ لحدثٍ استثنائي حدَثَ على مرِّ الزمن- أمرٌ ملموسٌ وحقيقي وتاريخيّ.

سلسلةٌ من الأمور الموثوقة

مع ذلك، هناك سؤالٌ آخر يبرز في هذه المرحلة، وسنحاول الإجابة عنه في هذا الكتاب: هل وثائق العهد الجديد- ولاسيما الأناجيل الأربعة، موثوقةٌ حقًّا كشهاداتٍ تاريخيَّة؟ أي هل يمكننا الوثوق بها لنستقي منها معلوماتٍ مفيدة يُعتمد عليها بخصوص أحداث حياة يسوع، ولا سيَّما ما يتعلق بقيامته، بحيث يمكننا القول أخيرًا: "نعم، أنا واثقٌ تمامًا أنّه قد قام"؟ من جهتي، أنا أثقُ بالعهد الجديد، ولكنَّ الوصولَ إلى تلك النتيجة يتطلَّب بعضَ الجهد، فتمامًا كما نتعامل مع أيّة مستنداتٍ تاريخيَّة، يمكننا إثارة بعض التساؤلات بخصوص نقاطٍ معيّنة تتعلَّق بمدى مصداقيَّتها.

لكي تفهم ما أقصده، فكّر في الأمر بالطريقةِ التالية. إذا كنتَ تقرأُ مثلًا في إنجيل متّى، وقرأت حدثًا معيَّنًا عن حياة يسوع، يمكنك إحصاء ثلاثة أشخاص مختلفين على الأقلّ كانوا قد وضعوا أيديهم على الرواية

نفسها التي تقرأها، ومن ثم أثّروا فيها بطريقةٍ ما. الأول والأكثر وضوحًا هو الكاتب، حيث تنشأ الرواية مع المؤلِّف الذي كتَبها. الثاني، هو الشخص الذي نسَخَ الكتابات الأصليَّة، وعلى الأرجح هناك أكثر من شخصٍ واحد، وهكذا جرى تناقلها، إن جازَ التعبير، عبْرَ عدّة قرونٍ لنجدها بين أيدينا اليوم. الثالث، هو شخصٌ (أو لجنةٌ ما) ترجم تلك النسخةِ من اللغة الأصليَّة إلى لُغتكَ الأُم، كي تتمكَّن من قراءتها اليوم. عند كلِّ خطوة في هذه العملية، تبرزُ أسئلةٌ تركّز بشدّة على مدى إمكانية الوثوق بالقصَّة التي تقرأها لتقدِّم روايةً موثوقةً عمّا حدثَ فعلًا. وبالرجوع إلى الحدث نفسه، ينتهي بك الأمر مع سلسلةٍ من خمسة أسئلة رئيسيَّة:

١. هل يمكننا الوثوق بأنّ ترجمة الكتاب المقدَّس من اللّغة الأصليَّة إلى لغتنا، تعكس النصَّ الأصليَّ بدقّة، أو هل تروي الأمورَ المكتوبة في النصوص الأصليَّة؟

٢. هل يمكننا الوثوق بأنّ من نسخوا النصوص قد نقلوا إلينا بدقّة الكتابات الأصليَّة، أم أنَّهم أضافوا (سواء عن قصد أم لا) أو اقتطعوا أو غيَّروا الكثير من الأمور، لذا فإنَّ ما لدينا الآن لم يعُد كالنصِّ الأصليّ؟

٣. هل يمكننا الوثوق بأننا ننظر إلى الأسفار الصحيحة، وأننا لم نفقِد مجموعةً من الأسفار التي تقدِّمُ مفهومًا مختلفًا ومقبولًا عن يسوع؟ بمعنى، هل يمكننا الوثوق بأننا محقُّون في حسبان أنَّ هذه الأسفار هي الأسفار الصحيحة بالمقارنة بالأسفار المرفوضة؟

٤. هل يمكننا الوثوق بأنَّ الكتّابَ الأصليين جديرون بالثقة؟ أي، هل أرادوا حقًّا أن يقدِّموا لنا عرضًا دقيقًا للأحداث، أم كانت لديهم أهدافٌ أخرى- ككتابة روايةٍ خياليَّة مثلًا، أو حتّى أنهم قصدوا خداعَنا؟

٥. وأخيرًا، إذا تيقنّا من رغبة المؤلِّفين في نقل الأحداث بدقّةٍ كما حدثَتْ، هل يمكننا الوثوق بأنّ ما وصفوه حدث حقًّا؟ بعبارةٍ أخرى، هل يمكننا الوثوق بأنّ ما كتبوه حقيقي؟ أم هناك أسبابٌ أفضل تدفعنا للتفكير بأنّهم كانوا مخطئين بطريقةٍ ما؟

هل ترى؟ إذا تمكنّا من الردّ على هذه الأسئلة- الترجمة؟ تناقل الأسفار؟ اعتماد قانونيَّة الأسفار التي بين أيدينا؟ مصداقية الكتّاب؟ مدى حقيقة الأسفار؟- بدراسةٍ عميقة! عندئذٍ تكونُ لدينا سلسلةٌ متينةٌ من الأمورِ الموثوقةِ لنا عن الأحداث التي نتساءل حولها. وسنقول بكل ثقة:

١. إنّنا نمتلكُ ترجماتٍ جيِّدةٍ للمخطوطات الكتابيَّة.

٢. تلك المخطوطات هي نسخٌ دقيقةٌ من الكتابات الأصليَّة.

٣. الأسفار التي نقرأها الآن هي الأسفار الصحيحة.

٤. أراد كتّاب هذه الوثائق إخبارنا بما حدثَ فعلًا.

٥. لا يوجد سببٌ وجيه يدفعُنا للتفكير في أنَّهم كانوا

مخطئين فيما رأوه وسجّلوه.[1]

بغضّ النظر عن الطريقة التي تنظر بها إلى هذا الأمر، هذه التأكيدات ستضعُ أساسًا راسخًا لطريقة التفكير التي تجعلنا نقبل مصداقية الكتاب المقدَّس تاريخيًّا. يلي تلك الخطوة، التفكير العميق في قيامة يسوع، كي نقول "نعم، أنا أومنُ بأنّ ذاك هو ما حدث. وإيماني بأنّ يسوع قام من بين الأموات يساوي إيماني بجميع الأحداث الأخرى التي حدثت في التاريخ".

بعضُ الأفكارِ الهامَّة

والآن اسمحوا لي أن أقول ثلاثة أمور أخرى قبل البدء في محاولة بناء ذلك النوع من الإطار التاريخي. أولًا، لا تنسَ أننا لا نبحث عمّا نسميِّه اليقين الرياضي (mathematical certainty). فهذا النوع من اليقين المنطقي ممكنٌ في الرياضيّات وأحيانًا في العلوم، ولكنَّه مستحيلٌ عندما نتعامل مع التاريخ. ففي أيِّ حدثٍ تاريخيّ، هناك شخصٌ ما في مكانٍ ما، قادرٌ دائمًا على ابتكار بديلٍ للرواية المقبولة التي لديها على الأقلّ المقومات المحتَملَة لتكوِّن القضية. قد يقول أحدُهم "ربما لم يَعبر قيصرُ نهرَ روبيكون في الحقيقة، ربما تنكَّر أحدُ قادته العسكريين وارتدى ثيابَ القيصر وتمكّن من خداع الجميع. بالتأكيد أنا أعلم أنَّه لا يوجد سببٌ وجيهٌ للتفكير في ذلك، ولكن ما يزال الأمرُ ممكنًا، ولذلك لا يمكنك التيقُّن من أنَّ قيصر قد عَبَرَ نهر روبيكون". حسنًا، فلنفكر قليلًا! إن كان هذا

١) هذه الفكرة هي امتدادٌ لنهجٍ معيَّن كنتُ قد تعلَّمتُه أولًا من مارك ديفر (Mark Dever)، راعي كنيسة كابيتول هيل (Capitol Hill) المعمدانية في العاصمة واشنطن، وهناك مؤلِّفون مسيحيّون آخرون استخدموا أيضًا النهج نفسه.

النوع من الاعتراضات كافيًا لمنعنا من وضع استنتاجاتٍ حاسمةٍ بخصوص التاريخ، إذًا فلن نحظى بالثقة الكافية بخصوص أيّة معلوماتٍ نعرفُها عن الماضي.

نشكر الله أننا لا نبحث هنا عن يقينٍ رياضيٍّ، وإنَّما عن ثقةٍ تاريخيَّة. فلا نريد أن نقول "إنّ عبور القيصر لنهر روبيكون هو يقينٌ منطقي رياضي"، وإنَّما نقول "إنّ بعضَ الناس أعلنوا في تقارير مؤكَّدة أنَّ القيصر عَبَرَ نهر روبيكون. ونعتقد أنَّهم أرادوا تدوين ما حدثَ فعلًا (لم يريدوا خداعَنا أو صياغة أسطورةٍ ما)، فما مِن سببٍ وجيه يدفعُنا للتفكير في أنَّهم أخطأوا في سردهم لِما حدث. وهكذا، يمكنُنا أن نثقَ من الناحية التاريخيَّة بأنَّ قيصر عَبَرَ نهر روبيكون". هذا هو نوع "اليقين" الذي نبحث عنه في التاريخ، ولا نريد أيَّ شيءٍ من الدراسة التاريخيَّة أكثر من ذلك.

ثانيًا، لا تنسَ أنّ الثقة التاريخيَّة توفّر أساساتٍ كافية لأفعالنا. لَطالما التقيتُ أناسًا كانوا يؤكّدون أنَّهم لن يتجاوبوا مع أيّ شيء دون اختباره. يقولون إنَّهم إذا لم يروه أو يختبروه فسيكون لديهم شكٌّ كبير في التجاوب معه بأيّة طريقةٍ كانت. الآن، وللوهلةِ الأولى، يبدو أنّ هذا الموقف يحملُ الكثيرَ من الاحترام الفكري، فهو موقفٌ دقيقٌ ومدروس. ولكن عندما تُدقِّق في الأمر أكثر، تدركُ أن لا أحد يحيا بتلك الطريقة، فهذا أمرٌ غيرُ واقعيّ. الحقيقة هي أنَّنا جميعًا نضعُ ثقتَنا في أمورٍ ليست لدينا معرفةٌ مباشرة بها أو لم نختبرها بصورة دائمة.

فكِّر في الأمر. أنا لم أكن حاضرًا عندما جرى التصديقُ على دستور

الولايات المتَّحدة. ولكنَّني كمواطنٍ أمريكي، أحيا واثقًا بأنّ التصديق عليه هو حقيقةٌ تمَّت، وأتصرَّف وفقًا لتلك الثقة. أنا لا أرفضُ حقَّ التصويت لأنَّني لستُ متيقّنًا رياضيًّا بأنَّنا نحيا بموجب دستورٍ مُصدَّق عليه. إليك هنا مثلًا آخر أقرب إلى الحياة المنزليَّة: إنَّني لا أمتلكُ معرفةً مباشرةً تؤكِّد أنّ والداي هما والديَّ حقًّا، فأنا لا أتذكَّر شخصيًّا ولادتي، ولم نُجرِ اختبار DNA، وسيبقى هناك احتمالٌ لحدوث بعض الأخطاء وتزوير شهادة ميلادي!

حسنًا، هذا أمرٌ نادرُ الحدوث حتمًا، ولكن من ناحيةٍ أخرى، جميعُ الأدلَّة التي لديَّ تُشير إلى أنّ والديَّ هما والديْ الحقيقيَّان، لذا أحيا وأتصرَّف طوال الوقت بموجب تلك الثقة.

هذا هو نوع الثقة التي يمكن أن يمنحها التاريخ، وهذا هو نوع الثقة التي أتمنى أن نصل إليها ونحن نفكر معًا عبر صفحات هذا الكتاب– الثقة التاريخيَّة التي تسمح لنا، بل تُجبرنا على قول "نعم، أعتقد أنّ قيامة يسوع من الموت حدثَت حقًّا. لا أملكُ تفسيرًا أفضل لتلك الحقائق. والآن ستكون أفعالي بناءً على تلك الثقة".

ثالثًا، أرجو ألّا تنسى أنّ هذا الكتاب ليس كتابًا أكاديميًّا، ولم يكن الغرضُ منه أن يكونَ كذلك. إنَّه لا يتناول جميع الصيغ المـُحتملة من كلِّ حوار، ولا يعرِض جميع الأمثلة المـُحتَملة أو الأمثلة المـُضادَّة. لهذا السبب، أرجو ألّا تقارنه بالكثير من الكتب الممتازة التي كتبها المسيحيّون عن جميع هذه المواضيع على مرّ السنين. إذا وضعت هذا الكتاب بجانبها، ستجد أنه ليس شاملًا مثلها، ولا ضخمًا مثلها. فهو يهدف ببساطة إلى

تقديم جسرٍ من البراهين والاعتبارات التي أقنعَتني وأقنعت كثيرين غيري على مرّ السنين بصحّة الكتاب المقدَّس.

هناك أمرٌ آخر، حفاظًا على الحوار ضمن مستوى ذلك الجسر، ستلاحظ أنني ركّزت في هذا الكتاب تحديدًا على العهد الجديد- وركَّزتُ في العهد الجديد تحديدًا على الأناجيل الأربعة. هذا يعني أنَّني لست بصَدد تناول كلّ فروقاتٍ بسيطة في النصِّ الكتابي، وتواتر نقل النصّ، وقانونيَّة الأسفار التي تظهر في أثناء المناقشات المتعلِّقة بالعهد القديم أو حتّى المتعلِّقة بأيِّ سِفرٍ من أسفار العهد الجديد. ولكنَّك تتساءل، ألا يدور هذا الكتاب حول الكتاب المقدَّس بالكامل؟ نعم، ولكن لا تنسَ أنَّ استكشاف دليل العهد الجديد، ولا سيَّما الأناجيل الأربعة، مع الأسئلة الخمسة المدوَّنة في الأعلى، سيعرض لنا فكرةً جيِّدةً عن القضايا، ودليلًا تاريخيًّا مُتَضَمَّنًا في المناقشات المتعلِّقة بالأسفار الأخرى أيضًا. والأهم من ذلك، تذكَّر أنَّ ما نهدف إليه في النهاية، هو يقينٌ تاريخي بأنّ يسوع قام من بين الأموات. إذا استطعنا الوصول إلى تلك النقطة، عندئذٍ يصبح لدينا سببٌ وجيهٌ جدًّا للثقة بمصداقيَّة العهد القديم أيضًا. إذًا، كيف نصل إلى تلك الثقة التاريخيَّة بأنَّ يسوع قد قام؟ إذا ما عزمنا أنَّ الأناجيل الأربعة على وجه التحديد، كانت تُعدُّ شهاداتٍ تاريخيَّة موثوقة، فهذا هو هدفنا.

إذًا مرة أخرى، حيث إنَّ كتبًا أخرى تناقش وبصورةٍ مفيدة تفاصيلَ جميع القضايا المطروحة المتعلِّقة بمصداقية الكتاب المقدَّس عمومًا، فإنَّ هذا الكتاب يقدِّم نظرةً عامّةً عن القضيَّة التي أقنعَتني وأقنعَت الكثيرين والتي تتعلَّق بصحَّة الكتاب المقدَّس- القضية التي تُتوَّج بقيامة يسوع.

يُفرحني أن تكونَ هذه القضيةُ مفيدةً ومُقنعَةً لك. إن لم تكن كذلك، أشجِّعك على متابعة قراءة الكتبِ الأخرى الأوسع والأفضل.

الخطوة الأولى

إذا كنتَ تقرأ هذا الكتاب وأنت لا تؤمن بالمسيح، أودُّ أن أشكرك أولًا لاختيارك هذا الكتاب ومتابعة قراءته حتّى الآن. أو أيًّا كان وضعك، أرجو أن تجد فيه أمرًا يتحدّاك لتفكّر في المسيحيّين والمسيحية وفي الكتاب المقدَّس، وفي النهاية أن تفكِّر في يسوع بطرقٍ تختلف ربما عن الطرق التي اعتدت التفكير بها من قبل. كما أرجو أن تدركَ أنَّنا نحن المؤمنين بالمسيح لا نؤمن إيماننا هذا دون سبب. قد لا تتبنَّى القضيةَ التي أصيغُها هنا، ولكن أتمنَّى على الأقلّ أن تكون قادرًا على القول إنه ربَّما هناك المزيد في الإيمان المسيحي لإدراكه. من جهةٍ أخرى، ربما تتمكَّن من قول أكثر من ذلك. قد تتوصَّلَ إلى نتيجةٍ تمكِّنك من الوثوق بالكتاب المقدَّس. عندئذٍ، ستخوض تجربةً رائعةً، لأنك ستبدأ بثقةٍ بالتفكير في ماهيَّة الكتاب المقدَّس وما يدور حوله- يسوع المسيح وما أخبَرنا به عن نفسه.

من ناحيةٍ أخرى، إن كنتَ مؤمنًا بالمسيح، أتمنَّى أن يساعدك هذا الكتاب على تكوين فهمٍ أفضل عن السبب الذي يدفعك إلى الثقة بالكتابِ المقدَّس، وبذلك تتمكَّن من مشاركته والدفاع عنه أمام اعتراضات مَن لا يثقون به. في الحقيقة، وعلى الرغم من اتّهامات الكثيرين لنا، فإنَّ المسيحيةَ لا تُطالب الناس أن يقوموا "بقفزة إيمانٍ" منافية للمنطق والعقل، أو تدفعهم للإيمان بأمورٍ سخيفةٍ دون أدلَّة. بل العكس تمامًا،

حيث تتمثَّل "قفزةُ الإيمان" الفعلية في الاعتماد على يسوع ليخلِّصنا من خطايانا، تحديدًا لأنَّه شخصٌ موثوقٌ بقوةٍ وجدارة.

وكيف نعلَم ذلك؟

حسنًا، لأنّ الكتاب المقدَّس يُخبرنا بذلك. أليسَ كذلك؟

الفصل ٢

هل هناك ضَيَاعٌ في الترجمة؟

قبل بضعِ سنواتٍ كان لي شرفُ زيارة مدينة شنغهاي في الصين. قبل رحلتي، حذَّرني بعضُ الأصدقاء الذين يعيشون هناك ألّا أفترضَ أنَّ الكلماتِ المكتوبة باللُّغة الإنكليزية تحت الأحرفِ الصينية على الكثير من إشارات الطرق في المدينة سوف تخبرني بما هو مكتوبٌ فعليًّا عليها. فعلى مرّ السنين، أصبحَ المترجمون الصينيون سيِّئو السمعة بسبب سوءِ ترجمتهم للإعلاناتِ وإشاراتِ الطرق إلى اللُّغة الإنكليزية. الأمرُ الذي يؤدي إلى نتائجَ مضلِّلة أحيانًا ومُضحكة أحيانًا أخرى.

بحثتُ عن بعض الأمثلة على شبكة الإنترنت قبل سَفري، وبدا بعضُ الناس الذين يخطئون في الترجمة مضحكين جدًّا. إليك مثلًا لوحة معلَّقة على باب مطعمٍ كُتِب عليها "الحانةُ مفتوحةٌ حاليًّا لأنها ليست مُغلقَة"؛ أو قائمةُ طعامٍ تُقدِّم وجبة غداء باسم "الجدَّة المبهَّرة الشهيَّة"؛ أو لوحةُ إعلاناتٍ أمام الحديقة العامّة مكتوبٌ عليها "عشبٌ محبوبٌ ولكن مثيرٌ للشفقة تحت قدميك". بصراحة، لا أحد يعلَمُ الفكرةَ الأصليَّة من تلك العبارات!

بعد مشاهدتي لذلك، كنتُ أتطلَّعُ شخصيًّا أن أجدَ بعض الترجمات الخاطئة الطريفة. للأسف، وصلتُ إلى شنغهاي بعد انتهاء دورةِ الألعاب

الأولمبيَّة الصيفيَّة، واتَّضحَ أنَّ الصينيين قد أطلقوا مشروعًا ضخمًا لتصحيح الترجمات الخاطئة في جميع أنحاء البلاد قبل بداية الألعاب الأولمبيَّة. فلم أحصل ولا لمرَّةٍ واحدةٍ على عيِّنةٍ من "الجدَّة المبهَّرة الشهيَّة" على الغداء، ولم أرَ الوجه الحزين للعشب المحبوب والمثير للشفقة قبل أن أمشي عليه!

ولكن الآن، فكِّر في الأمر للحظة. لماذا حرصت الصين على تصحيح ترجمات اللغة الأجنبية؟ الإجابة بسيطة- مع توجُّه اهتمام العالم نحو أُمَّتهم بسبب الألعاب الأولمبيَّة، أرادوا التواصل الدقيق مع العالم. كما أرادوا إيصال المعنى الصحيح لما يقولونه تمامًا. ففي النهاية هذا هو الأمر المحوري في الترجمة، سواء كانت ترجمة لوحةٍ إعلانيةٍ أم قائمةٍ ما، أو ترجمة الكتاب المقدَّس. هل يمكننا الوثوق بأنّ ما نقرأه بلغتنا يعكسُ بدقَّة ما قصده المؤلِّفُ بلغته الأصليَّة؟[٢]

هل الترجمةُ مُمكنَةٌ أساسًا؟

يمكن أن تكون مهمة تحديد موثوقيَّة الكتاب المقدَّس من الناحية التاريخية أسهل فيما لو كنّا ناطقين أصليّين باللّغات القديمة، العبريَّة والآرامية واليونانية، لكن في معظمنا لسنا كذلك. هذا يعني أنَّنا يجب أن نتساءل ليس فقط عن مدى موثوقيَّة مؤلِّفي الكتاب المقدَّس ودقَّة

٢) اعتمدتُ في هذا الفصل على كتاب كريغ. ل. بلومبرغ (Craig L. Blomberg) أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدَّس؟
Can We Still Believe the Bible?: An Evangelical Engagement with Contemporary Questions (Grand Rapids, MI: Brazos, 2014).
وكتاب بول د. وِغنر (Paul D. Wegner) رحلةٌ من النصوص إلى الترجمات: أصل الكتاب المقدَّس وتطوره.
The Journey from Texts to Translations: The Origin and Development of the Bible (Grand (Rapids, MI: Baker Academic, 1999

الناسخين في نقل كتاباتهم، بل أيضًا في ما لو كانت الكتب المقدَّسة المكتوبة باللُّغة الإنكليزية (أو العربيَّة) هي ترجماتٌ دقيقةٌ لتلك النسخ.

ربما يكون السؤالُ الأول الذي يجب علينا الإجابة عنه هو: هل عمليَّةُ الترجمة ممكنةٌ؟ هل يمكننا أن نجدَ نصًّا مكتوبًا بلغةٍ تبدو بهذا الشكل:

> Μὴ θησαυρίζετε ὑμῖν θησαυροῦς ἐπὶ τῆς γῆς, ὅπου σὴς καὶ βρῶσις ἀφανίζει, καὶ ὅπου κλέπται διορύσσουσιν καὶ κλέπτουσιν θησαυρίζετε δὲ ὑμιν θησαυροὺς ἐν οὐρανῷ, ὅπου οὔτε σὴς οὔτε βρῶσις ἀφανίζει, καὶ ὅπου κλέπται οὐ διορύσσουσιν οὐδὲ κλέπτουσιν· ὅπου γάρ ἐστιν ὁ θησαυρός σου, ἐκεῖ ἔσται καὶ ἡ καρδία σου,

ثمَّ علينا أن نثقَ بأنّ الترجمة التالية هي الكلمات نفسها؟

> ”لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا“ (متّى٦:١٩-٢١).

الجواب هو ”نعم، ولكنَّ الأمرَ يحتاج إلى بذلِ الكثير من الجهد“؛ إذ إنَّ أيَّ مشروع ترجمةٍ يتطلَّب سنواتٍ من العمل، أولًا في فَهم معنى وتركيبة اللُّغتَين، ثمَّ في إيجاد كلماتٍ وتراكيب في اللُّغة المستهدَفة بحيث تعطي بدقَّة المعنى الأصلي. فالترجمة من الناحية التقنيَّة هي مسألةُ فَهم

معنى الكلمة أو العبارة، ثم العمل على قول الأمر ذاته بكلماتٍ مختلفة، كي تكون مفهومةً لشخصٍ مختلف.

قد يبدو الأمرُ صعبًا جدًّا، ولكن إذا فكَّرتَ في ذلك، حتّى في لغتنا، فإنَّ هذا ما نقوم به في معظم الأحيان. على سبيل المثال، لديَّ ولدَان قريبَان من سنِّ المراهقة، ولديَّ أيضًا أبٌ يرغبُ بشدَّةٍ أن يكون قادرًا على التواصل مع أحفاده، الأمر الذي يبدو أحيانًا أصعب مما قد تتخيل! إنَّهم ليسوا ثلاثة أشخاص يتحدَّثون لغاتٍ مختلفة، إذ جميعُهم ناطقون أصليون باللُّغة الإنكليزية. ولكن مع ذلك، كثيرًا ما أجد نفسي، بصفتي الرجُل الذي يقف في الوسط بينهم، مضطرًّا إلى الترجمة بينهم.

مثلًا، عندما يقولُ ابني عبارةً تحتوي على مصطلحاتٍ حديثةٍ مختَصرة، ينظر إليّ والدي وكأنّ الصبي تكلَّم بلُغة المصريين القدماء أو شيئًا من هذا القَبيل؛ لأنّ والدي لا يعرف إطلاقًا معاني معظم العبارة التي سمِعَها باستثناء الضمائر المعروفة. وعند هذه المرحلة، يكون من واجبي البدء بعملية الترجمة– التفكير في معاني الكلمات التي قالها ابني، ومحاولة التوصّل إلى بعض الكلمات الأخرى التي يمكن أن يفهمها والدي. وعادةً ما أُترجمُ الجملةَ بالكامل دفعةً واحدة، فمثلًا "ما يقصده أنّ كلَّ شيءٍ على ما يرام، وهو سعيد". ولكن إذا أردتُ أن أكون حذرًا، يجب أن أُترجم كلَّ كلمةٍ على حدة، مثلًا:

- عندما يُلقي التحيَّةَ قائلًا: يوه (Yo)، أشرحُها لوالدي قائلًا: إنَّها تحيَّةٌ مُعتادَة بلغة الأطفال، ولكنَّها غير رسمية. إنَّها كلمةٌ هجينةٌ تعادل كلمة "مرحبًا" (hi, hey).

- هناك كلمةٌ تُستخدَم في التحيَّة الأمريكية المعاصرة بين الشباب، وهي "تشِل" (chill)، أُفسِّرُها لأبي: إنَّها لا تعني "بارد" (cold)، ولكنَّها تصف وضعًا ما أو شخصًا ما في حالةٍ ممتازة، سعيدة، جيِّدة. إنَّها في الحقيقة كلمةٌ حديثةٌ مشتقَّةٌ من كلمةٍ شائعة مُستخدمة هي "كُوول" (cool) أي ممتاز، "إنَّه ممتازٌ، أنا ممتازٌ، كلُّ شيءٍ ممتاز" (كأن نقول باللّغة العربية العاميّة "تمام، أنا أموري تمام، وكلُّ شيء تمام"–المـُترجم).
- كلمةٌ أخرى هي "برو" (bro)، وهي مصطلحٌ تحبُّبي يدلُّ على الصداقة واختصارٌ لكلمة أخ، ولكنَّها لا تقصد اثنين بينهما صلة قرابة الدَّم. أفضل ترجمة لها هي صديقٌ، أو ربَّما بالعامية تُترجم إلى رَجُل.

لذا، لو وضعت هذه الكلمات معًا لتشكِّل جملةً (Yo, it's chill, bro)، يمكن ترجمتها بعبارة "مرحبًا، كلُّ شيءٍ ممتازٌ يا رَجُل". عند سماعِها، تلمعُ عينا والدي دالَّة على فهمه لها، ويبتسمُ في وجهِ ابني ويتشاركان لحظة تواصلٍ حقيقيَّة ودقيقة– رغم أنَّها مُتَرجَمة. فيقولُ والدي "إنَّه أمرٌ صعب (gnarly)!" (كلمة قديمة لا يعرفها الابن)، فنعود لسباق الترجمة مرةً أخرى!

بالتأكيد أنا أعلم أنَّ هذه صورةٌ مبسَّطة سخيفة لما يتطلَّبه عملُ الترجمةِ الشاقّ من جهدٍ فعليّ، وإنّهم لأبطال هم أولئك الذين يقومون بهذا العمل– سواء كنَّا نتحدَّث عن الكتاب المقدَّس أو أيِّ كتابِ أدبٍ عظيمٍ آخر، أو حتّى عن الترجمة الضرورية لمجريات الحياة اليوميَّة

لمجتمعنا العالمي. ما أُحاول قولَه هنا، حتّى مع هذا المثال الغريب بعض الشيء، ليس مدى صعوبة أو بساطة الترجمة، وإنما أريد التنويه إلى أنّ الترجمةَ هي أمرٌ مُحتَملٌ ومقبول. فمن الممكن أن يكون هناك تواصلٌ أصيلٌ وحقيقي ودقيقٌ بواسطة الترجمة.

هذا يعني أنه لا يمكن أن يقدِّم أحدٌ اعتراضًا على مصداقية الكتاب المقدَّس مُعلنًا "إغلاق القضية"، فقط لأننا نقرأ ترجمةً إنكليزيةً (أو عربيَّةً) للوثائق اليونانية والعبرية. لقد درسَ العلماءُ اللُّغاتِ اليونانية والعبرية والآرامية والإنكليزية لعدَّة قرونٍ، وهم قادرون على ترجمةِ اللُّغات الأربع بدقَّةٍ ووضوح.

ما سبب وجود هذا العدد الكبير من إصدارات الكتاب المقدَّس؟

إذا كان هذا الكلامُ صحيحًا، فلماذا إذًا يوجد عددٌ كبيرٌ من الترجمات المختلفة للكتاب المقدَّس؟ يمكنك الذهاب إلى أيّ متجرٍ لبيع الكتب المسيحية، فتجد أحيانًا رفًّا كاملًا، بل أحيانًا قسمًا بأكمله! يحتوي على ترجماتٍ مختلفةٍ للكتاب المقدَّس. مثلًا في اللغة العربية، لدينا بعض الإصدارات، مثل: ترجمة فاندايك، كتاب الحياة، الترجمة العربية المشتركة، الترجمة اليسوعيَّة، الترجمة المبسَّطة، الإنجيل الشريف.

هل لأنّ مَن أصدروا كتاب الحياة اعتقدوا أنّ مَن أصدروا فاندايك كانوا مخطئين جدًّا؟ أو لأنّ اللجان التي أصدرت الإنجيل الشريف ترجموا الكتاب المقدَّس بطريقةٍ سيّئة جدًّا، فوجب على مَن أصدروا الترجمة العربية المبسَّطة تصحيحه كلِّيًا؟ وبهذا الصدد، هل يتغيَّر إنجيل يوحنا عندما يخاطب الرجال أو النساء أو الرياضيين؟

باختصار، الإجابة عن كل هذه الأسئلة هي "لا". فعندما يتعلَّق الأمر بالطبعات المختلفة الموجَّهة للطلاب أو الرجال أو النساء، جميعها ببساطة برامج تسويقية يبقى فيها نصُّ الكتاب المقدَّس الفعلي هو ذاته. تختلف عن بعضها في المواضيع الإضافية التي تُصاحب النصَّ الأصلي، مثل مقدّمات الأسفار وملاحظات دراسيَّة ومقالات تعبُّدية وغيرها من المواد. ليس هناكَ ما يدعو للتفكير في أنّ وجود كتاب مقدَّس دراسي للرجال وآخر للنساء في المكتبة قد يتسبَّب في أيّ تشويش في معنى النصِّ الكتابي إطلاقًا.

ولكن ماذا عن إصدارات الترجماتِ المختلفة؟ ألا تقدِّم الكتابَ المقدَّس بصورةٍ مختلفةٍ جدًّا حتَّى إنَّنا لا نستطيع التحقُّق التام من المعنى الأصلي؟ هذا سؤالٌ جيِّد. في الواقع، حتّى عندما تُستخدم كلمات مختلفة في الترجماتِ المختلفة لتقديم العبارة اليونانية أو العبرية نفسها، ليس من الضروري أن نتشكَّك إطلاقًا في ما قد ذُكرَ في النصّ الأصلي.

فكِّر مرةً أخرى في المثال الذي طرحته عن الجملة التي قالها ابني بطريقته العصرية. كان من الممكن أن أترجمها لوالدي بعدة طرق:

- " مرحبًا، كلُّ شيءٍ ممتازٌ يا رَجُل"
- "اسمعْ، كلُّ شيءٍ على ما يرام يا صديقي"
- "أتعلم شيئًا؟ الوضعُ ممتازٌ جدًّا يا محبوب"

هناك كلماتٌ محدَّدةٌ مختلفةٌ في جميع هذه الترجمات. ومع ذلك، هل هناك شكٌّ في أنها تنقل المعنى الأصلي للجملة؟ فأيَّ ترجمةٍ تستخدمُها

هنا؟ إنَّ ما تعنيه هذه العبارة هو أنَّ ابني يريد من الشخص الذي تربطه به علاقة مودَّة أن يدرك بأنّه في وضعٍ جيِّدٍ، وهو راضٍ عنه.

يمكنك التعامل مع الآيات الكتابية بالطريقة نفسها. فلنختر إحدى الآياتِ بطريقةٍ عشوائية، ونرى كيف تقدِّمها مختلف الترجمات. طلبتُ من زوجتي أن تختارَ أحد الأناجيل الأربعة.

فقالت: إنجيلُ مرقس

"والآن اختاري رقمًا من بين ١-١٥"

اختارت "١٠!"

"ورقم آخر بين ١-٥٢"

اختارت "٥٠!"

فلنقرأ الآية (مرقس١٠:٥٠) ونرَ كيف تُسجَّل هذه الآية ترجماتٍ عربيَّة مختلفة. إليك هنا الآية باللغة الأصلية اليونانية:

ὁ δὲ ἀποβαλὼν τὸ ἱμάτιον αὐτοῦ ἀναπηδήσας ἦλθεν πρὸς τὸν Ἰησοῦν.

تُرجمت الآية كالتالي: في ترجمة فاندايك "فطرحَ رداءه وقام وجاء إلى يسوع".

ترجمة الحياة "فهبَّ متجهًا إلى يسوع طارحًا عنه رداءه".

الترجمة اليسوعيَّة "فألقى عنه رداءه ووثبَ وجاء إلى يسوع".

الترجمة المشتركة "فألقى عنهُ عباءَته وقام وجاءَ إلى يسوع".

أليس الأمرُ جنونيًّا؟ كيف سنتوصَّل إلى ما قاله البشير مرقس حقًّا

في (مر١٠:٥٠)؟ الجميع يتَّفقُ بأنّ الرجُل جاءَ إلى يسوع، ولكن هل ألقى رداءه أم طرَحه؟ هل كان رداءً أم عباءَةً؟ وكيف يمكننا تحديد ما إذا كان قد انتفضَ أو قفزَ أو نهضَ قبل أن يذهب إلى يسوع؟

حسنًا، من الواضح أنني غيرُ جادٍّ في كلامي هنا. لأنَّ جميعَ الاختلافات بين هذه الترجمات الخمس واضحةٌ جدًّا. فالرجُل خلعَ القطعةَ الخارجيَّة من ملابسه، ونهضَ وشقَّ طريقه باتّجاه يسوع. النقطةُ التي أريد التركيز عليها هي أنَّ الترجماتِ المختلفة لا تمنعنا من معرفة المعنى الأصلي الفعلي، بل إنّ قراءة الآية بأكثر من ترجمة تساعدنا فعليًّا على تكوين صورةٍ كاملة لِما يحدث.

رغم ذلك، ما نزال بحاجة إلى التعمُّق أكثر، فبالتأكيد الآيات الكتابية ليست بهذا الوضوح كالآية الموجودة في مر١٠:٥٠. ففي الواقع هناك كلماتٌ وعباراتٌ تصعُب ترجمتها، وفي تلك الحالات سيختلف غالبًا المترجمون حول كيفيَّة صياغة تلك الكلمات أو العبارات. ولكن حتّى في تلك الحالات، هناك بعض النقاط التي لا بدَّ أن توضعَ في حسباننا:

١. إلى حدٍّ كبير كانت نسبة اختلاف العُلماء في ترجمة بعض كلمات وعبارات الكتاب المقدَّس نسبةً ضئيلةً جدًّا. كما تمثّل هذه الحالات جزءًا صغيرًا من أيّ سِفرٍ محدَّد (أو حتّى إصحاحٍ محدَّد) في الكتاب المقدَّس.
٢. عندما يكون هناك مثل هذا الاختلاف أو التشكُّك في الترجمة، ستُعرَّف أفضل ترجمات الكتاب المقدَّس في الحاشية السفلية، لتعرّف القارىء بالترجمات

المـُحتملة الأخرى أو حتّى تتم الإشارة إلى أنّ "معنى الكلمة العبريّة أو اليونانيّة" غير مؤكَّد.[٣] النقطة هنا هي أن لا أحد يريد أن "يغيِّر أيّ شيء" دون إخبارنا، ولا يمكنهم القيام بذلك حتّى وإن أرادوا- حتّى في هذه المرحلة من تاريخ الترجمات.

٣. إنّ هذا العدد الهائل من الترجمات العلمية يساعدنا فعليًّا في تحديد الترجمات المضلِّلة المتداوَلة وتجنّبها. مثال، عندما يُترجم شهود يهوه آية يوحنا ١:١ في ترجمة العالم الجديد (NWT) "وكان الكلمة إلهًا"، يكون من المفيد لنا أن نعلم بأنّ جميع الترجمات الرئيسية الأخرى تقدِّم الآية كما يلي "وكانَ الكلمةُ الله". لذا، من الواضح أن ترجمة NWT قد قامت بأمرٍ ترفضه جميع الترجماتِ الأخرى. وإذا درستَ اللُّغةَ اليونانية مدةً كافية لتفهم استخداماتها لأدوات التعريف (a, an, the) (أي الفرق بين أن تردَ الكلمةُ معرَّفةً أو نكرة)، ستصل إلى النتيجة نفسها التي توصّل إليها المترجمون الآخرون التي تبيّن أنّ ترجمة العالم الجديد قد فصَّلتْ ترجمتَها لتلك الآية من أجل حماية عقيدةٍ لاهوتيةٍ خاصَّةٍ معيَّنة.

٤. بمجرد أن نحدِّد ونرفض الترجمات المضلِّلة المـُتعمّدة كتلك التي ذكرتُها، يمكننا أن نقول بثقة أنَّه لا توجد

٣) على سبيل المثال، انظر ملاحظة ترجمة ESV حول إشعياء ٢٧:١٠

> عقيدة رئيسية واحدة من العقائد المسيحية التقليدية تستند إلى ترجمةٍ غير مؤكَّدة مُتنازعٌ عليها في اللُّغات الأصليَّة للكتاب المقدَّس. إنَّنا نعلَم ما يقوله الكتاب المقدَّس، كما نعلَم معانيه.[٤]

ولكن هنا يظهر سؤالٌ آخر. ما سبب وجود ترجماتٍ مختلفة للكتاب المقدَّس أساسًا؟ إذا كانت الأجزاء المتنازع عليها في النصّ نادرةٌ جدًّا ولا تؤثّر في العقائد الرئيسية، فلماذا إذًا يتكلَّفُ الناسُ بالكثير من المال والجهد لإنتاج كل هذه الترجمات؟ هذا سؤالٌ ممتاز، ويأتي الجواب: للتمييز بين جميع الطرق المختلفة التي يستخدم فيها الناسُ الكتابَ المقدَّس في حياتهم.

فكِّر في الأمر. يقرأ الناسُ الكتابَ المقدَّس بتعبُّدٍ ويعظون منه ويستخدمونه في الدراسات الكتابية، يستخرجونَ منه تطبيقاتٍ عامّةٍ ويدرسونه ويتناقشونَ حول العقائدِ الموجودةِ فيه، ويستخدمونه للدفاع عن فهمهم للإيمان. ولمعظم هذه الأنشطة، لن تكونَ الترجمةُ الصارمةُ الحرفيَّةُ من اللُّغة اليونانيَّة أو العبريَّة مفيدةً جدًّا. بل قد تكونُ محبِطةً للغاية أحيانًا. فلنفكِّر في مر١٠:٥٠ مرةً أخرى، إذا تمَّت ترجمة الآية بدقّة كلمةً بكلمة من اللُّغة اليونانيَّة، ستكون النتيجةُ كالآتي:

هو وإذ طرحَ ثوبَه إذ قفزَ هو جاءَ إلى يسوع

يمكنك بالتأكيد حلُّ لغز هذه الآية، وقد يكونَ هذا النوعُ الحرفيُّ من

٤) لمزيد من التفاصيل بخصوص كل هذه النقاط، انظر بلومبرغ (Craig L. Blomberg) أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدَّس؟ الصفحات ٨٣-١١٨؛ وِغنر (Paul D. Wegner) رحلةٌ، صفحات ٣٩٩-٤٠٤.

الترجمةِ مفيدًا في حال كنتَ تقومُ بعملٍ علميٍّ دقيقٍ جدًّا على تلك الآية. ولكن مَن يحتمل ذلك عند قراءةِ الكتابِ المقدَّس صباحًا مع فنجانٍ من القهوة؟

هذا هو السبب الرئيسي لوجود ترجماتٍ مختلفةٍ- من أجل الاستخداماتِ المختلفة للكتاب المقدَّس. أحيانًا تحتاج إلى مزيد من التشدُّد في الترجمة- ترجمة الكلمات حرفيًّا. ولكن أحيانًا أخرى، تحتاج إلى ما هو أسهل في القراءة وأقرب للفهم، لذا تقدِّم بعضُ الترجماتِ نهجَ العبارة مقابل العبارة (أو حتّى الفكرة مقابل الفكرة)، مسهِّلةً ترتيب الكلمة، مفضِّلةً بنية الجملة في اللغة المستهدفة على بنية الجملة اليونانية أو العبرية، وتقدِّم عمومًا أفكارًا من الأصل في صيغةٍ يمكن أن يفهمها القارئ الناطق باللغة المستهدفة بصورةٍ أفضل. بالحديث أكثر من الناحية التقنيَّة، كلُّ ترجمةٍ للكتاب المقدَّس يجب أن تركِّز، بدرجةٍ أو بأخرى، على كلٍّ من الدقَّة وسهولة القراءة. بعضُ لجان الترجمة تحسب مهمتها بالضرورة أن تضحّي بإمكانيّة سهولة القراءة إلى درجةٍ معيَّنة في مقابل الدقّة (كما رأينا في مر١٠:٥٠). وهناك لجانٌ أخرى تخطِّط كثيرًا لإنتاجِ نُسخٍ سهلة القراءة، ولكن هذا القرار يعني حتمًا أنَّه يجب على المترجمين إعادة تنظيم تسلسل بعض كلماتِ اللُّغة الأصلية كي تبدو الجُمل "صحيحةً" لأُذنِ القارئ.

أرجو أن تتمكَّن من رؤية المغزى من كلِّ هذا. سواءٌ من الجانب النظري أو الواقعي لترجمات الكتاب المقدَّس، ليس هناك ما يدعو للشكّ ولو قليلًا في إمكانيَّة معرفتنا لِما هو مكتوبٌ في النصِّ الأصليّ للكتاب المقدَّس. في الواقع، إنَّنا نعلم ما هو مكتوبٌ في النصِّ الأصليّ، والمواضع

التي يختلف عليها بعضُ العلماء قليلةٌ جدًّا ومتباعدةٌ عن بعضها، وفي النهاية هي ليست بتلك الأهميَّة. لقد تُرجِمَ الكتابُ المقدَّس بصورة صحيحة مرارًا وتكرارًا.

وفي تحديد المصداقيَّة التاريخيَّة، هذا يأخذنا إلى نقطةٍ أبعد. إذ علينا أن نطرحَ سؤالًا آخر: هل نُترجِم ما كتَبه المؤلِّفون الأصليّون؟

بعبارةٍ أخرى، هل مَن أنجزوا بعمليَّة النسخ نَسخوا الأصلَ بطريقةٍ صحيحة؟

الفصل ٣

نسخٌ من نُسخٍ
من نُسخٍ من نُسخ؟

في أثناء المرحلتَين الثانوية والجامعية، أخذتُ بضع دوراتٍ تعليميَّةٍ للغاتٍ أجنبية. ولا تزال اللُّغة الإسبانية هي المفضَّلةُ لديّ، ورغم أنَّ الأمرَ قد يكون غير مثيرٍ لك فإنَّ علماءً حقيقيين كانوا هناك. في نهاية الأمر قضيتُ أربع سنواتٍ دراسيَّة كاملة في دراسة تلك اللُّغة. الآن، وبعد ابتعادي عن تلك الدراسات لمدةٍ تزيد على خمس عشرة سنة، لم أعُد أُجيدُ اللُّغةَ الإسبانية- سواء في القراءة أو التحدُّث بها أو الاستماع إليها، أو أيّ شيءٍ له علاقة بها. ولكن في الأيام التي كنتُ أعملُ عليها بجدٍّ، كنتُ أُجيدُ الترجمة الإسبانية إلى الإنكليزية والعكس أيضًا. وذلك لأنّ أستاذ اللُّغة الإسبانية كان يعطينا واجباتٍ للترجمة في كلِّ ليلة. هل تذكر كيف كانت تُنظَّم جميع الفُصول الدراسية الجامعية بطريقةٍ متناوبة- مثل الاثنين والأربعاء والجمعة، أو الثلاثاء والخميس؟ ولكن هذا الترتيب لا ينطبق على مادة اللُّغة الإسبانية، فقد كانت يوميًّا، وهذا يعني أنَّ عليَّ في كلِّ ليلةٍ أن أترجم فقرة محدَّدة إمّا من النص الإنكليزي إلى الإسباني وإمَّا العكس، ويجب أن أستعدَّ لمناقشتها مع زملائي في اليوم التالي.

كنتُ أُجيدُ ذلك أيضًا. وفي سنَتي الجامعيَّة الأخيرة، كنتُ قادرًا على ترجمة مئات الكلمات في بضع ساعات، وكنتُ على استعدادٍ في أيَّة لحظةٍ لشرح تركيبة كلِّ كلمة وجملة. ولكنني في مرة أو مرتين، تعلَّمت درسًا قاسيًا عندما وصلت إلى الفصل الدراسي: مهما كانت ترجمتي جيِّدة، لم يكن لها أيّة أهمية إن كنتُ قد نظرتُ إلى صفحةٍ غير مطلوبة أو ترجمتُ فقرةً غير مطلوبة!

قد يوجّه الناس أحيانًا اتّهامًا مماثلًا بشأن الكتاب المقدَّس- أنَّه حتّى وإن كنَّا قادرين على القول وبكل ثقة إننا ترجمنا الكتاب المقدَّس بدقّة، فما مِن طريقةٍ تجعلُنا واثقين بأنَّنا نُترجم ما هو صحيحٌ، لذلك يبدو الأمرُ غير مجدٍ بجميع الأحوال. هذا الاتّهام ليس لأنَّنا نمتلك وثائق خاطئة، بل لأنَّنا لا نمتلكُ الوثائقَ الأصليَّة المكتوبة بأيدي المؤلِّفين الأصليّين، والنسخُ التي لدينا لا بدَّ أنها تالفةٌ. لذلك، لا يمكننا معرفة ما كتبَه المؤلِّفون الأصليُّون. وإذا كان ذلك صحيحًا، يستمر الجدل ومِن ثَمَّ لن يكون هناك معنىً من مواصلة النقاش أكثر من ذلك.

قدَّمت إحدى المجلات الأمريكية هذه النقطة بوضوح:

> لا يوجد واعظٌ ممَّن يظهرون على التلفاز قرأَ الكتاب المقدَّس، ولا السياسي الإنجيلي، ولا بابا الفاتيكان. وأنا أيضًا لم أقرأه، ولا حتّى أنتَ. فجميعُنا، على أفضل تقدير، قرأنا الترجمةَ- ترجمةٌ من ترجماتٍ من ترجماتٍ لنُسخٍ منسوخةٍ باليد من نسخٍ أخرى وهكذا مئات المرَّات. [٥]

٥) كورت إيشينوالد (Kurt Eichenwald)، "الكتاب المقدَّس: يُساء فهمه، إنها خطية" عدد إصدار ٢٣

الآن، تعاملنا مسبقًا في هذا الكتاب مع تهمة "الترجمة السيئة"؛ هذا غير صحيح، فإن لم يكن الأمرُ واضحًا لك، ربما عليكَ أن تعودَ إلى قراءة الفصل الثاني مرةً أخرى. بالإضافة إلى ذلك، ليس صحيحًا أنَّنا نتعاملُ مع قضيَّة "الترجمة من ترجماتٍ تُرجمت بدورها من ترجماتٍ أخرى"، كما لو أنّ النصَّ اليوناني الأصليّ قد تُرجم إلى الصينيَّة أولًا ثمَّ إلى الألمانية، ثم البولندية ووصلَنا أخيرًا إلى العربية. كلّا، فنحن قادرون على ترجمة الوثائق مباشرةً من اللُّغة الأصليَّة، اليونانية والعبرية، إلى العربية وغيرها من اللُّغات. هكذا، حتّى في أسوأ الأحوال نحن نتعامل مع ترجمةٍ فقط. ولكن ما الذي يمكن قوله عن الفكرة الأخيرة، الاتِّهام الذي يقول إنّ كلَّ ما لدينا هو مجرَّد "نسخٌ مكتوبةٌ باليد عن نُسخٍ مِن نُسخٍ مِن نُسخ؟"

"هذا كلامٌ لا معنىً له"، هذا ما يجب أن نقوله.

ليست لدينا الوثائق الأصليَّة. إذًا، ماذا الآن؟

فلنفكِّر في مسألة تناقل الوثائق الأصليَّة- هل يمكننا الوثوق بأنّ نصَّ الكتاب المقدَّس الأصلي قد نُقل بدقّة لنا على مرّ العصور؟ ونحن نفكِّر بهذا السؤال، علينا الاعتراف بذاك العائق الكبير أمامنا: نحن لا نمتلك الوثائق الأصليَّة.[٦]

ديسمبر ٢٠١٤،

.http:// www .newsweek .com /2015 /01 /02 /thats -not -what -bible -says -294018 .html

٦) استندت في هذا الفصل تحديدًا إلى غريغ. ل. بلومبرغ (Craig L. Blomberg) أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدَّس؟ وكتاب بول د. وِغنر (Paul D. Wegner) رحلةٌ من النصوص إلى الترجمات: أصل الكتاب المقدَّس وتطوره.

كل ما يمكن قوله هو أنَّ قصاصات الورق التي استخدمها لوقا ويوحنا والرسول بولس لكتابة إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا والرسالة إلى أهل رومية، قد فُقدَت في التاريخ. ومن المستبعَد تمامًا أن نجد مخطوطةً كتابيَّةً يمكننا أن نقول عنها: "إنَّنا واثقون مئة بالمئة بأنّها القطعة الأصليَّة التي كتبَ عليها المؤلِّفُ الأصليّ".[٧] ولكن قبل أن نيأس ونستسلم، فلنفكِّر دقيقةً في هذه النقطة. واقعيًّا، ما مدى أهمية حيازتنا القطع الورقيَّة الأصليَّة؟ بالطبع ستكونُ أنيقةً. خلال زيارتي لندن قبل بضعة أعوام، حضرتُ معرضًا لكنوز المكتبة البريطانية، حيث عُرِض فيه بعضٌ من أكثر القطع الأثريَّة التاريخيَّة والثقافيَّة قيمةً، وأكثر الآثار قيمةً وقداسةً والتي استخرجها القائمون على المعرض من بين السجلَّات المقدَّسة من المكتبة البريطانية. لقد كانت مجموعةً مُذهلة. عُرِضَ أمامي هناك ماغنا كارتا (Magna Carta)؛ ونسخة غوتنبورغ للكتاب المقدَّس تعود لعام ١٤٥٥م؛ ومقطوعة هاندل (Handel) الموسيقيَّة المسيَّا (Messiah) مكتوبة بخطِّ يده؛ والمخطوطة السينائية (Co-dex Sinaiticus)، وهي أقدم نسخة معروفة للعهد الجديد؛ ومفكرة ليوناردو دافينشي الخاصة؛ والكلمات الأصليَّة (ما يثير الدهشة) لأغنية فريق البيتلز "النجدة!" (Help!) مثلما خربشها جون لينون على قصاصةٍ ورقيَّة.

سيداتي وسادتي، إنَّني سعيدٌ جدًّا لإعلاني نعلم وبكل يقينٍ الكلمات الأصليَّة لأغنية "النجدة!" كما كتبها فريق البيتلز، يمكننا رؤيتها على قُصاصةٍ ورقيَّة؛ وأنا أعترف بأنَّها رائعة. لا أعلم إن كانت تصل إلى مستوى كنوز المكتبة البريطانية في روعتها، ومع ذلك إنَّها رائعة.

---

٧) لم يكتب المؤلِّفون القدماء على ورقٍ كالذي بين أيدينا، وإنما كتبوا على ورق البَردي أو الرقوق الجلديَّة، ولاحقًا على مخطوطاتٍ شبيهة بالرقوق. ولكن كاختصارٍ لهذا الكتاب، سيكون الورقُ كافيًا.

ولكن، هل امتلاكنا لقطعة الورق الأصلية هو الطريقة الوحيدة التي تمكّننا من الوثوق بأنّ ما لدينا هو في الحقيقة ما كتبه المؤلِّفون الأصليّون؟ أي، هل حُكِم علينا للأبد بأن نقول إنَّه ليست لدينا أيّة فكرة حول حقيقة ما كتبه هوميروس أو أفلاطون لأنَّنا لا نمتلك قصاصات الورق الأصلية التي كتبا عليها الأوديسا (Odyssey) أو الجمهورية (The Republic)؟ هل أغنية "النجدة!" لفريق البيتلز هي الأغنية الوحيدة التي نعرف كلماتها حقًّا؟ بالتأكيد لا. بل إنَّ قول هذا مثيرٌ للسخرية. ماذا عن وثائق الكتاب المقدَّس؟ هل نحن متروكون كي نستسلم ببساطة ونعترف بأننا لا نمتلك سوى مجموعةٍ قليلةٍ من نُسخٍ عديمة الفائدة منسوخَةٍ عن نُسخٍ ونُسخٍ أخرى، وهذا لن يجعلنا واثقين إطلاقًا بأنّ النسخ المتبقية تعكس بدقّة ما كتبه المؤلِّفون فعلًا؟

حسنًا، كلا، نحن لم نُترك لذاك الاستنتاج الذي يُشعرنا باليأس. رغم أنَّنا لا نمتلك القطع الورقيَّة الأصليَّة للكتاب المقدَّس، فإنَّه يمكننا الوثوق وبشدّة بأنَّنا نعلم ما كُتب في تلك الأوراق الأصليَّة. ولكن كيف يكون ذلك؟

مفتاح الإجابة عن ذاك السؤال يكمن في حقيقة أنه وعلى الرغم من عدم حيازتنا للوثائق الأصلية، فإنَّ لدينا آلافَ الوثائق الأخرى (ورق البَردي، الرقوق، المخطوطات) والتي تحتوي على النصّ المكتوب باللغة الأصلية من كلّ سِفر من أسفار الكتاب المقدَّس- نحو ٥٤٠٠ قُصاصة متميزة خاصَّة بالعهد الجديد. أيضًا نحن لا نتحدَّث عن أوراقٍ من المطابع الحديثة؛ وإنَّما عن مخطوطاتٍ قديمة تعود إلى ما قبل اختراع آلاتِ الطباعة، والكثير منها يعود إلى القرن الثاني والثالث، بل (ربَّما) القرن

الأول. تحتوي بعض هذه المخطوطات على نُسخٍ كاملةٍ للأسفار الكتابيَّة؛ وبعضها تلفَت أجزاءٌ منها فبقيَتْ أجزاءٌ فقط من تلك الأسفار. وبعضها حرفيًّا هي مجرَّد قُتات لما اعتُبرت قَبلًا أكبر المخطوطات. مرةً أخرى، ولا واحدة من هذه المخطوطات هي الوثائق الأصلية للكتاب المقدَّس؛ جميعها نُسخٌ من نُسخٍ أقدم، ولكنَّنا وجدناها منتشرةً في جميع أنحاء ما كانت تُسمى الإمبراطورية الرومانية؛ وجدناها مخبَّأة في كهوفٍ، أو مطمورةً مع آثارٍ قديمة؛ أو- صدِّق أو لا تُصدِّق- مودَعةً في أكوام قمامةٍ قديمة تابعة لمدينةٍ مصريَّةٍ قديمة! فضلًا عن ذلك، أرَّخ بعضُ الخُبراء بقايا تلك النصوص، واكتشفنا أنها تعود إلى القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى من التاريخ المسيحي.[٨]

والآن ما يجعل هذه المخطوطات أو بقاياها تستحوذ على الاهتمام- أو أن تمثِّل إشكاليةً للبعض، حسب طريقة النظر إليها- هو أنّها تختلف بعضها عن بعض في بعض المواضع، حتّى عندما يكون من المفترض أنَّها نُسخٌ للجزء المحدَّد نفسه من الكتاب المقدَّس. مثال، اقتبَست إحدى مخطوطات إنجيل البشير متّى كلام بيلاطس البنطي "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْرجُل" (متّ٢٤:٢٧)، بينما هناك إحدى بقايا هذا السفر في مكانٍ آخر أو في قرنٍ لاحق، تدوِّن كلام بيلاطس البنطي كالآتي "أنا بريءٌ من هذا الدم البريء"، في حين لا يزال البعض يقتبسون قوله "أنا بريء من دم هذا الرجُل البارّ".[٩]

٨) للحصول على معلوماتٍ مفصّلة حول مخطوطات العهد الجديد الباقية، انظر مثلًا، وِغنر (Paul D. Wegner) رحلةٌ، صفحات ٢٣٥-٢٤٢.

٩) راجع الملاحظة النصّية في ترجمة ESV لآية متّى٢٤:٢٧.

ما المعنى هنا؟ من الواضح أنّ هناك شخصًا، أو ربما أكثر، لم ينسخ بدقّة الكلماتِ الأصليَّة التي كتبها البشيرُ متّى.

ينظر البعض إلى ٥٤٠٠ مخطوطة وبقايا مخطوطاتٍ أخرى مع كلِّ اختلافاتها، ويقول "هذا مستحيل، لا توجد وسيلةٌ واحدة تمكِّننا من معرفة ما كُتِب في الأصلّ. والنسخُ المتبقِّية بعيدةٌ جدًّا وقد تلفَت جدًّا بحيث إنَّنا لن نحظى بثقةٍ كافية بأنَّنا نعلم ما كتبَه المؤلِّفون الأصليُّون". ولكن ذلك الاستنتاج يأخذُنا بعيدًا جدًّا، إليكَ السبب. من ناحية، المشاكل التي يشير إليها المتشكِّكون كنتيجةٍ لكل هذا- أنّ المخطوطات التي لدينا بعيدةٌ جدًّا في الزمن عن المخطوطات الأصلية، وبأنَّها لا بد أن تكون مليئة بالاختلافات- ليست سيِّئةً بالدرجة التي يصوّرها بعض الناس. ومن ناحيةٍ أخرى، اتّضح أنَّه وبسبب وجود آلاف النسخ، من كل أنحاء الإمبراطورية ومع كلّ الاختلافات التي فيها، هذا يسمح لنا بالوثوق مجددًا ولدرجةٍ كبيرة بما قيل في المخطوطات الأصلية.

فلأشرح كلّ ذلك خطوةً بخطوة.

انتبه هناك فجوةٌ زمنيَّة!

أولًا، في الغالب يكون الاتِّهام هو أنّ الوثائقَ التي لدينا قد نُقلَت عبر الزمن من وثائق أصليّة بعد يأسنا من محاولة معرفة ما تقوله تلك الوثائق الأصليَّة. علاوة على ذلك، كُتِبت جميع الوثائق الأصلية للعهد الجديد بين منتصف القرن الأول وأواخره، كما أنّ أول نُسخٍ منها لدينا تعود إلى الأعوام ١٢٥م، ١٥٠م، و٢٠٠م تقريبًا. هذا يعني أنّ هناك فجوة ٤٥- ٧٥ سنة تفصل النسخ الأولى التي لدينا عن النسخ الأصليَّة. إلى حدٍّ ما، يسبِّبُ هذا الأمرُ

مشكلةً لنا؛ فلسببٍ ما، نحن نتخيَّل أنّ ٧٥ سنة هي فترة زمنية طويلة، وهي كافية لإحداث عدد كبير من النسخ التي يمكن أن تُفقَد بعد ذلك، وبذلك لن يكون لدينا أدنى فكرة عن النسخة الأصلية. ولكن هذا افتراضٌ غير عادل، لا سيَّما عندما تدرك أنّ الكتب عمومًا كانت لدى الشعوب القديمة ذات قيمةٍ أكبر من قيمتها في زمننا اليوم، لذلك، كانت الكُتب تُحفظ بعنايةٍ أفضل بكثير مما نفعله حاليًا. حتّى الآن، ونحن قادرون على طباعة كتبٍ بالملايين كلّ سنة، يمكنك التجوّل في أيِّ متجرٍ لبيع الكتب المستعملة وتجد كتبًا من مئة سنة أو مئتَين أو ثلاث مئة سنة. الناس تجعلُ كتُبها تدوم! وهذه الحال تنطبق أكثر على العصور القديمة، حيث كان نَسْخُ كتابٍ واحدٍ يحتاجُ حرفيًّا أسابيع من العمل. تعلَّم العلماءُ بدراستهم للمكتبات القديمة أنّ الناس كانوا يستخدمون الكتب نفسها بانتظامٍ لما يقارب من ١٠٠-١٥٠ سنة قبل صنع نسخةٍ جديدةٍ والتخلُّص من القديمة.

نرى مثالًا رائعًا لهذه الممارسة في ما نسميه النسخة الفاتيكانية (Codex Vaticanus)، نسخةٌ من العهد الجديد وُضِعَ نصُّها الأصلي في القرن الرابع، ولكن أعاد النسَّاخُ كتابتها في القرن العاشر، وهكذا استمرَّ استخدامها. هل ترى المعنى من ذلك؟ استمرَّ استخدامُ النسخة الفاتيكانية ٦٠٠ عام بعد النسخة الأصليّة الأولى! إليك النقطة هنا: لمَّا كانت الكتب تُستخدم بانتظام حرفيًّا مئات السنين، فهذا يعني أنّ فجوة ٥٤-٧٥ سنة الكائنة بين وثائق العهد الجديد الأصلية وأقدم النسخ التي لدينا (أي النسخ التي وُجدت) لا تُعدُّ مدَّة طويلة. في الحقيقة، من المرجَّح أنّ النسخ الأصلية التي وضعها المؤلِّفون أنفسهم، قد حُفظت واستُخدمت لنسخ عدد لا يُحصى من النسخ على مرِّ عقودٍ أو قرونٍ

قبل أن تُفقد. وهكذا فالادِّعاء القائل إننا لا نمتلك سوى "نُسخٍ من نُسخٍ منسوخةٍ من نُسخٍ ونُسخ" هو أمرٌ مبالَغٌ فيه. في الواقع، إنَّه لأمرٌ جيّدٌ في دائرة إمكانياتنا، أن يكون لدينا اليوم في متاحفنا نُسخٌ من الأصل.

أيضًا عندما ننظر إلى الفجوة الزمنية بين الوثائق الأصلية وأوائل النسخ الموجودة من أعمالٍ قديمةٍ أخرى، نجد وبسرعة مدى صِغر تلك "الفجوة" في وثائق العهد الجديد. مثلًا، كتاب المؤرِّخ الإغريقي ثوسيديديس (Thucydides) عن تاريخ الحرب البيلوبونيسيَّة (History of the Peloponnesian War) لدينا منه بالضبط ثمانِ مخطوطاتٍ، وقد ظهرت أقدمُها بعد المخطوطة الأصليَّة بنحو ١٣٠٠ سنة!

أمَّا كتابات يوليوس قيصر عن الحروب الغاليَّة (Gallic Wars)، فلدينا تسع أو عشر نُسخ قابلة للقراءة (اعتمادًا على مفهومك لمعنى "قابل للقراءة")، وظهرت أول نسخة بعد ٩٠٠ سنة من النسخة الأصلية. في ما يخصُّ كتابَي الحَوليات (Histories) والتواريخ (Annals) للمؤرِّخ تاسيتس (Tacitus) اللذين كُتِبا في القرن الأول، جرى العثور على مخطوطتَين ترجع إحداهما إلى القَرن التاسع والثانية إلى القَرن الحادي عشر- أي النسخ كُتبت بعد ثماني مئة سنة وألف سنة على التوالي. يمكنك أن ترى بسهولة ما أريدُ الإشارةَ إليه: إذ لا أحدَ يصرخُ قائلًا "انتبه هناكَ فجوةٌ زمنيَّة!" عندما يتعلَّق الأمرُ بالأدب القديم، لكن فقط كتابُ العهد الجديد يُعامل بهذا النوع من المعاملة.

أربعُمئة ألفِ اختلافٍ؟

ننتقل إلى الاتِّهام التالي الذي يقول إنّ المخطوطات التي لدينا مليئة بالاختلافات أو المتغيِّرات، ويستحيل الاعتقاد أننا يمكن أن نحظى

بالثقة بخصوص ما هو مكتوب في الوثائق الأصليَّة. أكّد أحد العلماء أنّ مخطوطاتِ العهد الجديد التي لدينا، تحتوي وبصورة مدهشة على ما يقارب أربعمئة ألف اختلاف! (سبب استخدام كلمة ما يقارب، هو أنه لا يوجد شخص أحصى تلك الاختلافات، لذا حتّى هذا العالِم لجأ إلى القول "يقول البعض هناك مئتا ألف اختلافٍ معروفٍ، والبعض يقول ثلاثمئة ألفٍ، والبعض أربعمئة ألفٍ أو أكثر!"[١٠] على أيّة حال، لا بدَّ من معرفة بعض النقاط الهامَّة بخصوص هذا الاتِّهام:

١. في الواقع المخطوطات ليست مليئة بالاختلافات، والعدد أربعمئة ألف ذاك ليس مخيفًا كما يبدو للوَهلة الأولى، إن كان دقيقًا في الأساس. وذلك لأنّ الباحث الذي استخدم هذا العدد لم ينظر فقط في المخطوطات اليونانيَّة الأصليَّة الخمسة آلاف التي سبَقت الطباعة، وإنما تفحَّص العشرة آلاف مخطوطة المكتوبة باللُّغات الأخرى. وفوق ذلك، بحثَ في عشرة آلاف مخطوطة أخرى، أو حتّى في كتاباتٍ مقابلة لها حيث كان الناس يقتبسون من العهد الجديد في الستمئة سنة الأولى من تاريخ الكنيسة! ضع كلّ ذلك معًا، فتجد أنَّك تتحدَّث عن أربعمئة ألف اختلاف (أو ربما ثلاثمئة ألف أو مئتي ألف...) منتشرة ضمن ما

١٠) بارت د. إيرمان، إساءة الاقتباس عن يسوع. قصة مَن غيَّر الكتاب المقدَّس ولماذا، (سان فرانسيسكو: هاربر سان فرانسيسكو، ٢٠٠٥)، ٨٩.
Bart D. Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why (San Francisco: Harper San Francisco, 2005), 89.

يزيد على خمسة وعشرين ألف مخطوطة وكتاباتٍ مقتَبسَة، إبَّان فترة ستمئة سنة. في المحصِّلة، ستجد ستة عشر اختلافًا في كلّ مخطوطة. إنَّه أمرٌ جيِّد، فهي ليست كثيرة.

٢. لا تنسَ أنَّ "الأربعمئة ألف اختلاف" هنا لا تعني أربعمئة ألف قراءة فريدة. أي أنه إذ كُتِب في إحدى المخطوطات "أنا بريءٌ من دمِ هذا الرجُل"، وقيلَ في عشر مخطوطاتٍ أخرى "أنا بريءٌ من هذا الدمِّ البارِّ"؛ في هذه الحالة تُحصي اختلافًا واحدًا في الإحدى عشرة مخطوطة. بتطبيق ذلك، يصبح عدد الأربعمائة ألف المخيف لا معنى له تقريبًا.

٣. أخيرًا، ليس الأمرُ وكأنَّ الاختلافات في كل الخمس وعشرين ألف مخطوطة تظهر عشوائيًّا في كلّ موضع؛ وإنما تميل إلى التجمّع حول المواضع القليلة نفسها في النصّ مرارًا وتكرارًا، وهذا يعني أنّ عدد المواضع الفعلية المثيرة للجَدَل في نصّ العهد الجديد قليلٌ.[١١]

النقطةُ هنا هي أنَّك عندما تفكر في الأمر إلى أبعد من مجرَّد الكلمات التي تسمعها، فإنَّك لن تجد صورةَ جبلٍ من نُسخٍ مليئة بالعديد من الاختلافات التي لا حصرَ لها. ليسَ الأمرُ كذلك على الإطلاق. على العكس

١١) لاستعراض المزيد من التفاصيل حول هذه النقاط، انظر بلومبرغ (Craig L. Blomberg) أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدَّس؟ ١٣-٢٨

تمامًا، تصبح لديك صورة معبِّرة عن تاريخِ نقلٍ (أي صناعة نُسخ) واضحٍ وثابتٍ لمعظم العهد الجديد، وعدد قليل من المواضع المحدَّدة التي تبرز فيها بعض الشكوك الحقيقية حول النص الأصلي التي أدَّت لظهور هذا العدد الكبير نسبيًّا من الاختلافات.

باختصار، لقد قام النُسَّاخ بعملٍ جيِّدٍ بصورة ملحوظة.

وكأنَّه حلٌّ لغزٍ منطقي

ولكن هنا لا بدَّ لنا من مناقشة أمرٍ آخر غاية في الأهمية: في المواضع التي نواجه فيها اختلافات في العهد الجديد، صدِّق أو لا تصدِّق، إنّ وجود تلك الاختلافات تحديدًا هو ما يسمح لنا بتجميع ما قيل في الوثائق الأصلية. فلأوضِّح ما أقصده.

إنّ استخدام الاختلافات لاكتشاف ما قيل في الأصل يشبه إلى حدٍّ كبير حلَّ لغزٍ منطقي. الأمرُ كلُّه يعتمد على فكرةٍ، هي: عندما يظهر الاختلاف في النسخ، يمكننا عمومًا تمييز أنَّ الكاتب الذي أجرى عمليَّة النسخ قد وضع ذلك المتغيِّر في نسخته، بل أيضًا تمييز السبب وراء ذلك. فهناك أسباب مختلفة تدفع النسّاخ لإدخال تلك المتغيّرات؛ أحيانًا يحدث ذلك بطريق الخطأ، مثلًا يجري خطأً استبدالُ الأحرفِ المتشابهة؛ أو استبدال كلمة بكلمةٍ أخرى تبدو متشابهة في أثناء القراءة؛ أو إغفال بعض الكلمات وأحيانًا مضاعفة بعض الكلمات أو الأحرف؛ أو إغفال مقاطع بأكملها عندما تُستخدم الكلمة نفسها في بعض الأسطر البعيدة عن بعضها. (تابع، اقرأ تلك العبارة مرة أخرى... بَيضُ الفصحِ مخبَّأٌ هناك!)

وفي أحيانٍ أخرى، تكون المـُتغيّرات المـُدخلة مدروسةً تمامًا؛ فقد يُقرِّر الناسخ بأنَّ هناك خطأً إملائيًّا في كلمةٍ أو اسمٍ ما "فيصحِّحه"، أو قد يغيِّر أمرًا ما في إحدى الفقرات بحيث تتوافق مع فقرةٍ أخرى، أو حتّى "يُصلح" كلمةً أو كلمتَين لتوضيح "المشاكل" التي درسها، وقد يضيف أمرًا ما إلى النصّ "لتوضيح" ما ينبغي أن يفهمه القارئ منه.

هنا طرافَة الأمر، إذ بمجرد أن تعلَم السببَ الذي دفعَ الكاتب (الذي نسخ النص) إلى القيام بتغييرٍ معيَّنٍ وهو ينسخ، تصبح لديكَ فكرة جيِّدة عمّا كُتبَ في النصّ الأصلي قبل تغييره. إليك هنا مثالًا بسيطًا جدًّا: تخيّل أنّ كل ما لديك لتقرأه هو جزءٌ صغيرٌ من نسخةٍ لمخطوطةٍ مفقودة تقول "الوردُ أحمد والبنفسجُ أزرق"، بسهولة يمكن رؤية ما حدث في أثناء نسخ الأصل، أليس كذلك؟ إذا تمكنَّا من إعطاء المؤلف الأصلي شرعيَّة التشكيك في أنه هو من كتب هذه العبارة التي لا معنى لها "الورد أحمد"، في هذه الحالة يمكننا القول وبكل ثقة إنّ الكاتب الذي نسخَ من الأصل ببساطة قد أخطأ في كتابة كلمة "أحمر" وإنّ العبارة الأصليَّة تقول "الوردُ أحمر والبنفسجُ أزرق".

المثالُ التالي أكثر تعقيدًا بعض الشيء. لنفترض أنّ لديك بقايا نسختَين منسوختَين من مخطوطتَين مفقودتَين منذ زمنٍ بعيد. تقول إحداهما (ونسمّيها الجزء أ):

> الآن نحن مشتركون في حربٍ أهليَّة كبرى، يجب أن نتوصَّل إلى تكريس جزءٍ من هذا الميدان، كمثوىً أخير لأولئك الذين قدّموا حياتهم هنا بحيث تلك الأمَّة يمكنها أن تحيا".

أمَّا النسخةُ الثانية (الجزء ب) فتقول:

> الآن ونحن مشتركون في حربٍ أهليَّةٍ كبرى، نختبر فيما لو كانت هذه الأمّة أو أيّة أمّة أخرى مشاركة ومكرّسة جدًّا قادرة على الاحتمال لوقت طويل. اجتمعنا في ميدان معركةٍ عظيمة لتلك الحرب. يجب أن نتوصّل إلى تكريس جزءٍ من هذا الميدان، كمثوىً أخير لأولئك الذين قدّموا حياتهم هنا بحيث يمكن لتلك الأمَّةُ التي نتحدث عنها أن تحيا.

حسنًا، تابع وفكّر لدقيقةٍ أو دقيقتَين لتكتشف الاختلافات في هذه القضية هنا. هناك اختلافان. ثم تابع القراءة.

حسنًا، هل وجدتهما؟ الجزء (أ) أقصر بشكلٍ ملحوظ. فهو لا يتناول الجزء المتعلّق "باختبار فيما لو كانت هذه الأمّة أو أيّة أمّة أخرى مشاركة ومكرَّسة جدًّا قادرة على الاحتمال لوقتٍ طويل. اجتمعنا في ميدان معركةٍ عظيمة لتلك الحرب". وكذلك يختلف الجزءان بخصوص الجملة الأخيرة، هل كانت العبارة الأصليَّة عن أولئك الذين قدّموا حياتهم "بحيث تلك الأمَّة يمكنها أن تحيا"، أم "بحيث يمكن لتلك الأمَّةُ التي نتحدث عنها أن تحيا"؟

فلنبدأ بالاختلاف الأول، العبارة المحذوفة التي تدور حول الاجتماع في "ميدان معركةٍ عظيمة" لتلك الحرب. هل هناك أيّ سببٍ وجيه يدعو للتفكير في أنّ الذي نَسَخَ أضافَ كلّ هذه الكلمات للنسخة الأصلية التي لا تندرج فيها هذه الكلمات؟ هذا غير صحيح؛ على الأقلّ لا أستطيع التفكير في أيّ سبب. إذًا إن كانت الإجابة لا، فهل هناك أيّ تفسير يوضّح

سبب حذفها؟ نعم. انظر كيف تظهر كلمة حرب مرتين في الجزء (ب)؟ في الحقيقة، وكأنَّ الكلمتَين "حرب" تشكِّلان نوعًا من الأقواس التي تتضمَّن داخلها تلك الكلمات التي حُذفت في الجزء (أ). إذًا، إذا وردت كلمة حرب مرتين في النص الأصلي (ولا سيما إذا وردت في المرتين مثلًا في نهاية سطر أو بداية سطر)، في هذه الحالة سيتوافر مكان طبيعي وسهل لنظر الناسخ كي "ينتقل" دون قصد من واقعة إلى أخرى، وذلك يوضِّح سبب حذفه للكلمات التي بينهما، دون قصد. من ذلك المنطلق، يمكننا أن نقول وبكل ثقة إنّ القراءةَ الأطول في الجزء (ب)، تعكس على الأرجح النصّ الأصلي.

ماذا عن الاختلاف الثاني؟ هل مِن سببٍ وجيه يدفع الكاتب (الذي نَسخَ) إلى تعديل النص الأصلي الذي قيل فيه "بحيث تلك الأمَّة يمكنها أن تحيا"؟ على الأرجح لا. ففي النهاية، إنّ عبارة "بحيث تلك..."، عبارةٌ غير ملائمة. وهكذا عمل الكاتب على الأرجح على "تصحيح" صيغة (بحيث تلك) إلى صيغةٍ أخفّ وقعًا على الأُذن. لهذا السبب، لا بدَّ لنا أن نستنتجَ بأنّ القراءة الأصعب في الجزء (أ) هي التي تعكس النصّ الأصلي.

بالنظر إلى هذا كله، يمكننا التوصّل إلى استنتاجاتٍ راسخةٍ مفادها أنّ الجزء (ب) ربما يعكس النص الأصلي في الاختلاف الأول (لأنّ عين الناسخ انتقلت من كلمة حرب إلى كلمة حرب الثانية)، وأنّ الجزء (أ) يعكس النصّ الأصلي في الاختلاف الثاني (لأنّ الناسخ لم "يصحِّح" النص الأصلي ليقول "بحيث تلك"). لذلك، يجب إعادة تشكيل النص الأصلي كما يلي:

> ونحن الآن مشتركون في حربٍ أهليَّةٍ كبرى، **نختبر فيما لو كانت هذه الأمّة أو أيّة أمّة أخرى مقتنعة ومكرَّسة جدًّا قادرة على الاحتمال لوقت طويل. اجتمعنا في ميدان معركةٍ عظيمةٍ لتلك الحرب.** يجب أن نتوصّل إلى تكريس جزءٍ من هذا الميدان، كمثوىً أخير لأولئك الذين قدّموا حياتهم هنا بحيث يمكن لتلك الأمَّةُ التي نتحدث عنها أن تحيا.

هل ترى؟ فقط بوضع الأسباب التي ربما دفعت الناسخ للقيام ببعض التغييرات المحدَّدة، نصبح قادرين على التوصُّل إلى نتيجةٍ موثوقةٍ بخصوص ما كُتِب فعليًّا في الوثائق الأصلية، حتّى وإن كانت صياغتنا النهائية لا تعبّر تمامًا عمّا قيل في الجزأين اللذين لدينا. إنّه لأمرٌ منظَّم، أليس كذلك؟

حسنًا، هذا هو بالتحديد ما قام به العلماء لعدّة قرونٍ في عملهم على الأجزاء والمخطوطات المتوافرة لدينا من العهد الجديد. هم واجهوا العديد من الألغاز، والتي كانت أكثر تعقيدًا من هذه الأمثلة البسيطة، أصبحت لديك الآن فكرةٌ عن ذلك. بمقارنة النسخ القديمة التي بقيت وبالتفكير مليًا في الأسباب التي دفعت الناسخين لإجراء تغييراتٍ أو أخطاءٍ محدَّدة، يمكن أن يتوصل العلماء إلى نتائج موثوقة جدًّا حول ما قيل في النصوص الأصلية فعليًّا. فالمسألة ليست مسألة تخمين أو سحر، أو ببساطة تقليل لفرضيَّات أو "اختلاق الأمور"، وإنما هي تفكيرٌ استنتاجي دقيق.

هنا مثالٌ فعليٌّ من العهد الجديد للتوضيح. هناك مخطوطاتٌ تختلف حول ما كُتب في النصّ الأصلي في متّى٥:٢٢

”وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ“.

أو

”وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ“.

الاختلافُ واضحٌ، وكذلك الحلّ أيضًا. كم مِن كاتبٍ (ناسخ) يمكن أن يحذف الكلمة ”باطلًا“ (أي، ”دون سبب“)، في حين أنَّ هذه الكلمات تجعل تعليم يسوع أكثر قبولًا بكثير؟ على الأرجح ليس الكثيرين. الاحتمال الأكبر هو أنّ ذلك الكاتب توقّف للتفكير عند الفكرة المجردة التي تقول إنّه إذا غضبَ شخصٌ ما على أخيه فإنَّه يستوجب الحُكم. فقرَّر أن ”يساعد“ يسوع ”بتوضيح“ تعليمه بكلمة باطلًا. لذلك، بسبب صعوبة قراءتها، على الأرجح الاختيار الأول هو الذي يعكس النصّ الأصلي. ولهذا السبب تترك معظم الترجمات الرئيسية عبارة (دون سبب/ باطلًا)، وتضعها فقط في الحاشية في أسفل الصفحة.

نحن نعلم ما كتبوه

قبل أن نختم هذه القضيَّة، ينبغي أن نتطرَّق لنقطةٍ أخرى أو اثنتين. أولًا، من الجدير بالذكر أنّ الغالبية العظمى من الاختلافات النصّيَّة في نسخ المخطوطات التي لدينا هي مجرَّد اختلافات غير مهمَّة وغير جوهريَّة تمامًا. تتعلق بضمائر الجمع مقابل ضمائر المفرد، أو ترتيب كلماتٍ معكوس، أو الصيغة الشرطية في مقابل الصيغة الدلالية، صيغة الفعل

البسيط مقابل التامّ، وهكذا... أمرٌ مُمل! لا تحتوي غالبية الاختلافات على أيّ أمرٍ يؤثّر في النهاية في كيفيَّة فهمنا للكتاب المقدَّس.

ثانيًا، لقد كان العلماءُ المسيحيون دقيقين جدًّا في توثيق أهمّ الاختلافات وتحليل كلٍّ منها كما فعلنا هنا في هذا الفصل- كل هذا متاحٌ لك في كتبٍ يمكنك شراؤها، إذا كنتَ مستعدًّا لدفع المال. لديك الحرية في الاختلاف بالرأي مع أيٍّ من استنتاجاتهم. صدِّق أو لا تصدِّق، طوال الوقت هناك جدلٌ مضحكٌ حول هذا النوع من الأمور عند المسيحيين. ولكن مرةً أخرى، النقطةُ هنا هي أنّه ما مِن مؤامرةٍ تُحاك لخداعِ أحد. عندما يكون هناك احتياجٌ إلى إعادة الحُكم على الاختلافات، تجد المسيحيين منفتحين تمامًا، إذ نؤمن تحديدًا أنّ تلك الاختلافات- وأسباب وجودها أساسًا- يمكن أن تساعدنا في تحديد الاحتمالات القويَّة لما هو مكتوبٌ فعليًّا في وثائق العهد الجديد الأصليَّة.

أخيرًا، كما هي الحال مع مسألة الترجمة، يبدو أنه لا توجد عقيدةٌ واحدةٌ في الإيمان المسيحي تعتمد فقط على جزءٍ مُشكَّكٌ به من النصّ الكتابي. فالأجزاء المُشكَّك بها لا تحتوي على ما هو جوهري، وفي حال ذلك، تتمّ دراسة العقائد نفسها التي وردت في تلك المواضع من مواضع أخرى في أجزاءٍ غير مشكوكٍ فيها في الكتاب المقدَّس.

هل ترى النقطة؟ الاتِّهام بأننا لا نستطيع معرفة ما كُتب في النصوص الأصليَّة غير واضحٍ ومزيفٌ تمامًا. إنَّ الفجوة ما بين النصوص الأصليَّة وأقدم نُسخٍ موجودةٍ منها- في النظرة العامة- ليست كبيرةً بتلك الدرجة على الإطلاق. وبعيدًا عن تناقص قدرتنا على تحديد ما كُتب في النصوص

الأصلية، فإنَّ العدد الكبير من النسخ المتاحة لدينا يسمح لنا بأن نبرهن بطريقةٍ استنتاجيةٍ، وبدرجةٍ عاليةٍ من الثقة التاريخية، ما قد كتبه فعليًّا يوحنا ولوقا وبولس وغيرهم من كتّاب العهد الجديد.

خلاصة ما وصلنا إليه حتّى الآن

إذًا هذا ما توصَّلنا إليه حتّى الآن في بحثنا إن كانت وثائق العهد الجديد معتَمدة تاريخيًّا. أولًا، يمكننا التيقُّن بأنّ ترجمتنا للوثائق دقيقةٌ وصحيحة. ثانيًا، يمكننا أيضًا التيقُّن بأننا نعلم ما كتبه مؤلِّفو تلك الوثائق في الأصل.

الترجمة؟ جرى التحقق منها.

التناقل؟ جرى التحقق منه.

ولكننا لم ننتهِ بعد. حتّى وإن كنَّا واثقين بأنّ ترجمتنا دقيقةٌ وواثقين جدًّا بأننا نعلَم ما كتبه المؤلِّفون فعليًّا، هل نحن على يقين أنَّنا ننظر إلى مجموعة الوثائق الصحيحة؟

بعبارةٍ أخرى، لماذا نحن مقتنعون بأنَّ علينا النظر في وثائقَ معيَّنة دون غيرها؟

الفصل ٤

هل هذه الأسفار هي حقًّا التي تبحث عنها؟

قرأتُ كتاب شيفرة دافنشي واستمتعتُ بقراءته. وكروايةٍ فنيّة، كانت ممتعةً جدًّا. لقد بقيتُ مستيقظًا حتّى ساعةٍ متأخِّرة وأنا أتابعُ الأبطالَ وهم يقتفون أثر فكرةٍ تلو الأخرى، ويحلّون الألغازَ القديمة، ويسافرون في كل أنحاء أوروبا. حتّى في أثناء كتابتي لهذا الكتاب، وجدتُ على غوغل أنّ مبيعات كتاب شيفرة دافنشي قد وصلت إلى أكثر من ثمانية ملايين نسخة منذ تاريخ نشره. تصوّري الخاص هو أنَّ جزءًا من هذا النجاح ينبعُ من كفاءة دان براون في رواية القصص، ولكن هذا لا يفسِّر ذلك النجاح تمامًا. ولا يمكننا الإشارة إلى ارتفاع جودة الكتاب أدبيًّا، فهذا ليس السبب وراء مبيعه أيضًا. كلا، إن سبب ارتفاع مبيعات كتاب شيفرة دافنشي هو ما يحلم به كلُّ كاتبٍ لكتابه- وهو أن يفجّر جدلًا في كلّ أنحاء العالم.

معظم الناس لم ينظروا بجدّيةٍ مطلقةٍ إلى معظم القصة المثيرة التي نسَجَها براون. مع كل هذا، كُتبَ في صفحة الكتاب الأولى "جميعُ الشخصيات والأحداث الموجودة في هذا الكتاب وهميَّةٌ. وأيُّ تشابهٍ مع شخصياتٍ حقيقيةٍ، سواء حيّةً كانت أم ميتةً، هو من قبيل الصدفة

البَحتة". ولكن شعبية هذا الكتاب الهائلة دفعت ببعض ادّعاءاته إلى داخل أعماق فهمنا جميعًا، بما فيهم بعض المسيحيين منّا. إحدى تلك الادّعاءات تقول إنّ الكتاب المقدَّس الذي نعرفه هو عبارة عن مجموعةٍ مصطَنعة بحتة من الكُتب، وربما تشوه أحدُها بمسرحياتٍ قوية ومتآمرة ومكيدةٍ شريرة. إليك هنا ما تكشفه إحدى صفحات كتاب شيفرة دافنشي عن تلك المؤامرة:

> سألَت صوفيا: "مَن اختارَ الأناجيل التي يجب قَبولها؟"
> "آها!" انفجر تيبنغ بحماسةٍ، وقال: "إنّها سخرية المسيحية الأساسية! فكما نعلَم اليوم، جرى تجميع الكتاب المقدَّس على يد الإمبراطور الوثني الروماني قسطنطين الكبير".[١٢]

إنّها لطريقةٌ غير مُتقَنة إطلاقًا في صياغة الأمر، ولكنَّ الرواية التي يتاجر بها براون هنا لها أصولٌ طويلةُ المدى بين العلماء الذين يشكّكون في الكتاب المقدَّس. الصورة التي تظهر تبيّن أنه على مرّ القرون الثلاثة الأولى أو أكثر من وجود الكنيسة، تنافست مجموعةٌ ضخمةٌ من الوثائق لتحظى بالاهتمام والسلطة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وهكذا تقول الرواية، بأنّ كلَّ جماعةٍ من المؤمنين كانت لديهم مجموعةٌ خاصةٌ من الوثائق التي اعتبروا أنها تعكس تعاليم يسوع الحقيقية، وكانت المسيحية قِدرًا متأجِّجًا بالغليان ويكسوه الزبَد، نتيجة التنوّع الجميل والتصادم المجيد من الأفكار! ثم، وفي يومٍ مظلمٍ في منتصف القرن الرابع، اجتمعت معًا مجموعةٌ من الأساقفة الأقوياء العدائيين في بلدةٍ شاطئية صغيرة

١٢) دان براون، شيفرة دافنشي: رواية (Da Vinci Code: A Novel)، (نيويورك: دوبلدي، ٢٠٠٣)، ٢٣١.

اسمها نيقية (إنّه تطابقٌ نموذجي، أليس كذلك؟)، وبدعمٍ من راعيهم الغني، وضع الإمبراطور الوثني قسطنطين حدًّا سريعًا لكل شيء، إذ نشرَ قائمةً من الوثائق التي فضَّلوها. وحرَّم هؤلاء الأساقفة استخدام أيّة وثائق أخرى، ووضعوا برنامجًا للقضاء المُـمنهَج على أيّة آراء معارضة، ودمّروا جميع الوثائق التي يمكن أن تتجرَّأ على تقديم منظورٍ عن يسوع يختلف عن منظورهم. وهكذا أُقفلت "قانونيَّة" العهد الجديد- مثل باب السجن- وأُغرِق العالم في الظلمة.

ربما أضفتُ بعض الزينة من أجل الدراما، ولكنني أعتقد أنَّ هذا وصفٌ جيدٌ جدًّا "للفيلم" الذي يدور في أذهان الكثيرين عندما تثير سؤالًا يتعلق بقانونيَّة الكتاب المقدَّس وما تحتويه حقًّا. إنّني أعلم أنّ معظم المسيحيين الذين أعرفهم، على أقلّ تقدير، اجتازوا وقتًا عصيبًا للإجابة عن هذا السؤال بكل ثقة، "هل أنت واثقٌ بأنَّك تنظر إلى الأسفار الصحيحة؟"

إنّه سؤالٌ مهمٌ جدًّا؛ لأنه إذا كان هدفنا الوصول إلى نتيجةٍ موثوقةٍ تقول إنّ الكتاب المقدَّس مُعتمدٌ تاريخيًّا، فيجب أن نكون واثقين بأننا نبحث في الوثائق الصحيحة. إن كان أحدهم قد سحق ودمّر وأحرق أو حتّى أزال غيرها من الكتب التي تروي قصةً مختلفةً عن يسوع، ولكنَّها موثوقةٌ بالقَدر نفسه، عندئذٍ ستضعف ثقتنا حتمًا بأنّ الكتاب المقدَّس يقدِّم لنا قصةً تاريخيةً دقيقة إلى حدٍّ كبير.

لذلك، هذا هو السؤال الذي يجب تناوله في هذا الفصل: في المقام الأول، هل هذه هي الوثائق الصحيحة كي نبحث فيها؟ بعبارةٍ أخرى، هل هناك (أو ربما كان هناك) "أناجيل" أخرى كان يجب النظر فيها- أو

حتى أن تكون بديلة؟ كيف يمكننا التيقّن بأنّ هذه الوثائق هي الوثائق الصحيحة التي يجب البحث فيها وأنَّ الأخرى ليست كذلك؟ [١٣]

ما تعريف قانونيَّة الأسفار المقدَّسة؟

عندما نتحدَّث عن قانونيَّة الأسفار المقدَّسة، فإنَّنا نعني بذلك قائمة الأسفار التي قَبِلها المسيحيّون، دون غيرها، كمصادرَ موثوقة للمعلومات عن يسوع. إنّ كلمة قانون (Canon) مأخوذة من اللغة اليونانية، وتعني قاعدة أو معيارًا. يمكنك أن ترى لماذا أراد المسيحيون استخدام تلك الكلمة عند الإشارة إلى مجموعتهم من الأسفار الموثوقة؛ هذه هي الوثائق التي تمثّل معًا وحصريًّا المعيار الذي تُقاس عليه حياة المسيحيين وعقيدتهم، ويجري تشكيلها وتقييمها وتصحيحها إن استدعى الأمر. السؤال بالتأكيد، كيف جرى تحديد قانونيَّة تلك القائمة من الأسفار الموثوقة؟ هل العمليّة التي اتُّبعَت تمنحنا الثقة لنعتمد هذه الأسفار كمصدر لمعلوماتٍ دقيقة عمّا حدث فعلًا؟

ما دام هدفنا الأولي هو الوصول إلى يقينٍ تاريخيٍ حول قيامة يسوع، فإنّنا لسنا بحاجةٍ الآن لأن نصرف الكثير من الوقت في الحديث عن

---

١٣) لهذا الفصل، استندت على كتاب غريغ. ل. بلومبرغ (Craig L. Blomberg) أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدَّس؟ مشاركة إنجيلية وأسئلة معاصرة Can We Still Believe the Bible?: An Evangelical Engagement with Contemporary Questions (Grand Rapids, MI: Brazos, 2014)؛ وكتاب ف. ف. بروس قانونيَّة الكتاب المقدَّس The Canon of Scripture (Downers Grove, IL:IVP Academic, 1988)؛ وكتاب سي. إي. هيل، مَن اختار الأناجيل؟ تحرّي مؤامرة الإنجيل العظيم Who Choose the Gospels? Prbing the Great Gosple Conspiracy (Oxford: Oxford University Press, 2010)؛ وكتاب بول د. وِغنر، رحلةٌ من النصوص إلى الترجمات The Journey from Texts to Translations: The Origin and Development of the Bible (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 1999).

قانونيَّة العهد القديم والدفاع عنها. [١٤] سنعود إلى هذا السؤال في الفصل السابع. يكفينا الآن أن نقول إنه في زمن يسوع، كان هناك اتفاقٌ عالميٌ على قانونيَّة العهد القديم، وقد قَبِل يسوع وأتباعُه قانونيَّة العهد القديم دون أي شكّ.

من جهة أهدافنا، القضية الحقيقية هي كيف أصبح العهد الجديد بأسفاره الحالية قانونيًّا؟ ما سيوضع على المحكّ بسبب هذه الأحداث يحمل بشدّة على مدى ثقتنا التاريخية بهذه الوثائق. إليك السبب. فلو كانت قانونيَّة أسفار العهد الجديد ناتجةً عن مؤامرةٍ سيّئة قام بها أشخاصٌ أقوياء حظَروا أسفارًا أخرى تدّعي بأنها تتسم بالدقّة نفسها، في هذه الحالة سيكون من الصعب جدًّا التوصل إلى نتيجةٍ مفادُها أنّ العهد الجديد كما هو حاليًّا موثوقٌ تاريخيًا. أيضًا، إذا أقرّوا هذه الأسفار المحدَّدة على أسسٍ اعتباطية– أي، إن لم يكن لديهم أسبابٌ وجيهةٌ لذلك– عندئذٍ سيكون من الصعب القول إنّ هذه الأسفار تقدِّم لنا صورةً دقيقةً ومُعتمَدَة عن يسوع. أخيرًا، يمكن أن يُقال الأمر ذاته في حال كانت العمليةُ غامضةً أساسًا. أي إن لم تكن هناك في التاريخ أسبابٌ لتفضيل هذه الأسفار دون غيرها من الأسفار الأخرى، إلاّ مجرد "مشاعر" شخصية تتعلق بصدق تلك الأسفار، في هذه الحالة لن يكون لدينا ذاك القدر من اليقين التاريخي حيالها. فبكل بساطة، إن كنّا سنحظى بثقةٍ تاريخيةٍ بما تخبرنا به وثائق العهد الجديد، عندئذٍ يجب أن نسأل، هل الأسباب التي لدينا لاعتبار هذه

١٤) لاستعراض قانونيَّة العهد القديم بصورةٍ مفصَّلة ولا سيما الجدل الخاص بأسفار الأبوكريفا، اقرأ كتاب وِغنر، رحلةٌ من النصوص إلى الترجمات، ١٠١-٣٠؛ وكتاب ف. ف. بروس، قانونيَّة الكتاب المقدَّس، الجزء الثاني: العهد القديم.

الأسفار دون غيرها، أسبابٌ مُقنِعَة؟"

للتركيز على ما هو هام، الإجابة نعم إنها أسبابٌ مُقنِعَة. مع أنَّ الوصول إلى هذه النتيجة يتطلَّب بعض الجهد. نحتاج أن نقوم بأمرين. أولًا، يجب الاستغناء عن الفكرة التي تبنَّاها كثيرٌ من الناس، بسبب كتاب شيفرة دافنشي، والتي تقول بأنّ قانونيَّة أسفار العهد الجديد نتجت عن مؤامرة من أساقفةٍ أقوياء تصرّفوا بخبثٍ وظلمٍ لحظر مجموعةٍ من الوثائق الجديرة بالاهتمام على حدٍّ سواء. وثانيًا، يجب أن نسأل إن كانت لدى المسيحيّين الأوائل أسبابٌ وجيهة لتفضيل الوثائق التي أقرُّوها أخيرًا. في حال لم تكن هناك مؤامرةٌ لحجب وثائقَ أخرى؛ وإن كان لدى المسيحيّين الأوائل أسبابٌ وجيهة لتفضيل الوثائق التي اختاروها، عندئذٍ سنكون قادرين على التصريح وبكل ثقة بأنَّنا ننظر في الأسفار الصحيحة حقًّا.

بحرٌ كاملٌ من الأناجيل؟

أولًا فلنبدأ بمسألة إن كانت هناك مؤامرةٌ لحَظر وثائق أخرى. اشرحها كما تريد، لكن تلك الفكرة ما هي إلا كلامٌ فارغ تمامًا، وهناك سببان على الأقلّ للتفكير في ذلك.

أولًا، وقبل كل شيء، ليس صحيحًا أنّ الكنيسة الأولى كانت غارقةً في بحرٍ من الأسفار التي تعرض تنوُّعًا للمعتقدات كألوان قوس قزح، وأنها تجاوبت مع ذلك (كما يسوِّغ البعض) بمسح غابةٍ من الأسفار الجيِّدة جدًّا بهدف الحفاظ على الأسفار المفضَّلة لديها فقط. ببساطة لم يكن هناك تنوُّعٌ هائلٌ في المعتقدات لدى المسيحيين الأوائل. في الواقع، إنَّ الكتابات المسيحية الوحيدة التي يعود تاريخها وبثقة إلى القرن الأول، هي التي

شكَّلت العهد الجديد في النهاية. ليس ذلك فحسب، ولكن الأسفار القديمة اللاحقة- التي تعود إلى النصف الأول من القرن الثاني- كُتبَت من قِبل مجموعةٍ من المعلِّمين الذين ندعوهم بالآباء الرسوليين، وجميع أولئك الرجال اتَّفقوا عقائديًّا مع الأسفار التي شكّلت في النهاية العهد الجديد. لكن فقط في الجزء الأخير من القرن الثاني- بعد كتابة معظم الأسفار التي كوّنت العهد الجديد بمئات السنين- بدأت تظهر بعض الوثائق البعيدة تمامًا عن تعاليم الأسفار الأولى. ومع ذلك، أظهرت تلك الكتابات اللاحقة وعيًا بالأسفار الأولى، حيث أشارت إليها بأنها مجرد كتابات منافسة لتقليدٍ مقبولٍ وقوي.

فما النقطة هنا إذًا؟ إنّ فكرة وجود بحرٍ هائجٍ وعاصفٍ من "الأناجيل" وغيرها من الوثائق جرى الاختيار منها في القرنين الأول والثاني من التاريخ المسيحي، هي ببساطة فكرةٌ خاطئة. فأسفار العهد الجديد كانت موجودة مسبقًا، ثم- بعد قرن- ظهرت الكتبُ التي حاولت تحدّي الأسفار الأولى.

ثانيًا، إنّ نظريات المؤامرة تعتمد جميعها على البحر الهائج العاصف الذي استمرّ عدّة قرون قبل القرن الرابع حيث أوقفه الأساقفة، ولكن يبدو أنّ الكنيسة أقرَّت مصداقية أسفار العهد الجديد الذي بين أيدينا قبل دخول نظريات المؤامرة في الجدول الزمني بوقتٍ طويل جدًّا. عادةً، يدّعي المتشكّكون أنَّه لم تكن هناك أسفارٌ مقدَّسة قانونيَّة إلى أن جمعَها ونسَّقها أحد المجامع أو الأساقفة في القرن الرابع. ولكن في الواقع، تشير الأدلة إلى أنَّه وعلى الرغم من أنّ الكنيسة ناقشت سلطان عددٍ قليل من أسفار العهد الجديد في القرن الرابع، فإن المسيحيين وضمن نطاقٍ واسع

أقرُّوا قبل نهاية القرن الثاني الغالبية العظمى مما نعرفه في كتاب العهد الجديد على أنّها أسفارٌ موثوقةٌ. في الحقيقة، لقد أقرّوا على نطاقٍ واسعٍ بسلطان معظم هذه الأسفار (بما فيها معظم كتابات الرسول بولس) مع نهاية القرن الأول.

عندما يتعلق الأمر بالبشائر الأربع- متّى، مرقس، لوقا، يوحنا- لدينا أسبابٌ وجيهةٌ للتفكير في أنّ الكنيسة اعترفت بمصداقيتها بصورةٍ حصرية في وقتٍ مبكر جدًّا، قبل القرن الرابع. أحد الشهود المثيرين للاهتمام على هذا النقاش هو الأسقف إيريناويوس، أسقف مدينة ليون الفرنسية، والذي كتب نحو سنة ١٨٠م أنَّ الله يرغب أن يعطي الكنيسة أربعة أناجيل لأنّ هناك أربع زوايا في الأرض وأربعة رياح. الآن، على مرّ السنين، لم يتوقف بعض الناس عن السخرية من إيريناويوس على هذه النقطة؛ فيقولون أيّ نوع من المغفّلين هذا الشخص ليدّعي "بأنّ هناك أربعة رياح، لذا من الطبيعي أن يكون هناك أربعة أناجيل"؟ كيف يتوقع أن يُقنع أحدًا بهذا الكلام؟ ولكن لنكن واقعيين! إيريناويوس هنا لا يحاول صياغة حجّة منطقيَّة، ولا يحاول أساسًا إقناع المتشككين بهذا المنطق. كلا، فكلُّ ما فعلَه هو صياغة نقطةٍ جماليَّة تتعلق بمدى جمال وملائمة وصحّة وجود أربعة أناجيل لدى المسيحيين، نقطة يتردد صداها في المقام الأول مع الناس الذين كانوا مقتنعين أساسًا ومحتاجين إلى التصديق على قناعتهم. وهنا تكمن النقطة التاريخية. إيريناويوس وهو يُحدث هذا النوع من الجَدل- لا لكي يقنع المتشككين، وإنما ليبتهج ويؤيد المؤمنين الحقيقيين- يُبدي إقرارًا واسع النطاق، في سنة ١٨٠م، بوجود أربعة أناجيل حقًّا، وأربعة أناجيل فقط.

ولكن لا ينتهي الموضوع عند هذا الحدّ. فبالعودة أكثر إلى الوراء، يبدو أنّ المدافع جاستن الشهيد (Justin Martyr) (كتبَ نحو ١٥٠م) قَبِلَ مصداقية الأناجيل الأربعة، كما فعل زميله المدعو بابياس (Papias) الذي كتب في أوائل ١١٠م. علاوةً على ذلك، هناك بعض الأدلّة المهمّة على أنّ بابياس أشارَ إلى قبول الرسول يوحنا نفسه للأناجيل الثلاثة إضافةً إلى كتابته لإنجيله.[١٥]

إليك النقطة هنا، إنَّ الصورةَ الشائعة والمقبولة عن المسيحية الأولى بصفتها معقلًا لكتّاب متنوّعين للإنجيل والرسائل، وجميعهم يتنافسون بالتساوي إلى أن أوقفتهم وتخلَّصت منهم مجموعةٌ من الأساقفة في القرن الرابع وإمبراطورهم الوثني، ما هي إلا مجرَّد فكرة فارغة لتسويق أحد الكتب. والحقيقة التاريخية هي أنّ معظم وثائق العهد الجديد، ولا سيما الأناجيل الأربعة، جرى تحديدها والاعتراف بها بصفتها موثوقة ومطابقة للأصل في وقتٍ مبكر جدًّا، ثم تلك المطالبات "لتحدّي" الإجماع العام بدأت بالظهور بعد قرنٍ أو أكثر. إن كان هذا الأمرُ صحيحًا، فيجب أن نتَّخذ خطوةً مهمةً لبناء ثقةٍ تاريخيةٍ في قانونيَّة العهد الجديد: ببساطة لم تكن هناك أيّة مؤامرة لمنح الامتياز لتلك الأسفار وحظر أخرى غيرها "مشابهة ظاهريًا ولكنَّها محيِّرة".

لم يختاروا- لكنَّهم تسلَّموا

ومع ذلك يبقى هنالك سؤالٌ آخر. حتّى وإن لم يتمّ الإقرار بقانونيَّة وثائق العهد الجديد تحت ادعاءاتٍ مزيفةٍ وشريرة، يجب أن نتساءل فيما لو

١٥) للتعمق في هذا الطرح، انظر هيل، من اختار الأناجيل؟ ٢٠٧-٢٥.

كانت لدى المسيحيين الأوائل أسبابٌ وجيهةٌ تاريخيًّا لقبول الوثائق التي اختاروها لتكون أسفارًا مقدَّسة.

ولكن لنتوقف قليلًا. لقد أخطأتُ التعبير في الفقرة السابقة. فالمسيحيون الأوائل لم يتحدَّثوا مطلقًا عن أنفسهم عندما يتعلق الأمر "باختيار" الأسفار التي يجب إدراجها ضمن مجموعة الأسفار المقدَّسة. وكأنَّك تسألهم "لماذا اخترتم آباءكم؟" وأنت تسألهم "لماذا اخترتم الأسفار التي اخترتموها؟"

في واقع الأمر وببساطة، لم يفكِّر أولئك المسيحيون الأوائل في الأمر بتلك الطريقة. فمرارًا وتكرارًا عندما كانوا يكتبون عن موضوع قبول الكتب التي أُدرجت ضمن قائمة الأسفار القانونيَّة وتلك التي لم تُدرج فيها، كانوا يستخدمون لغة مثل "لقد تسلَّمنا"، و"هذه الأسفار أُسلِمت لنا". لقد فهموا أنّ دروهم في هذه العملية لم يكن الحُكم، والإشارة بالإصبع للاختيار، وإنَّما وجود يدٍ مستَقبِلَة مفتوحة نحو الأعلى.

انتبه، هذه ليست مجرد نقطة لغوية، ولا حتّى روحية (حتّى الآن). إنها نقطةٌ تاريخيةٌ تؤثر كثيرًا في تصوّرنا الذهني لكيفية حدوث عملية تحديد قانونيَّة الأسفار المقدَّسة هذه. إنّ فكرة أنّ الكنيسة الأولى "اختارت" الأسفار التي تريد إدراجها كأسفار مقدَّسة، تعني أنها بدأت بلائحةٍ بيضاء ومجموعةٍ من الكتب غير المتمايزة، ثم بدأت عملية تقييم تلك الكتب وتحديد من لها حقّ الامتياز. ولكن هذا لم يحدث بتلك الطريقة إطلاقًا، ولا حتّى مرة واحدة في تاريخ المسيحيين الأوائل. في واقع الأمر، بدأ كلّ واحد منهم- كلّ جيل- لا بلائحةٍ بيضاء بل بمجموعةٍ من الكتب الموثوقة التي ورثوها من الجيل

السابق، وذلك الجيل ورثها بدوره من الجيل الذي سبقه، وهكذا إلى أن نصل إلى الرسل أنفسهم. أحيانًا قد يطعن البعض بمجموعة الكتب الموروثة تلك بطريقةٍ أو بأخرى، ويجب على المسيحيين التعامل مع ذلك. ولكن تبقى الحقيقة هي أنهم ببساطةٍ لم يتحدّثوا عن الاختيار أو اتّخاذ القرار، وإنَّما تحدّثوا فقط عن تسلُّم ما قد سُلِّمَ إليهم. كان موقفهم موقف الاتّضاع في الأساس. لقد تسلَّموا ولم يختاروا.

كانت لديهم أسبابٌ وجيهةٌ

ومع ذلك، يمكننا أن نسأل كيف يمكن أن يحافظ أولئك المسيحيّون الأوائل على ثقتهم الشديدة بأنّ الكتابات التي أقرّوا بمصداقيتها هي فعلًا الكتابات الصحيحة؟ عندما برزت التحدّيات للتقليد الموروث- كأن يقول البعض إنّ هذا السفر أو ذاك لا ينتمي إلى الأسفار المقدَّسة، والبعض يقول العكس- كيف أجابوا عن تلك التحدّيات؟ هل كانت لدى المسيحيين الأوائل معايير ثابتة لكي يقولوا بناءً عليها: "نعم، نحن واثقون بأنّ الكُتب التي تسلّمناها تنتمي إلى قائمة الأسفار المقدَّسة، وهذا هو السبب..."، أو "كلا، نحن واثقون تمامًا بأنّ تلك الكُتب لا تنتمي للأسفار المقدَّسة، وهذا هو سبب إقصائها..." بعبارةٍ أخرى، هل تلقّوا ما سُلِّمَ إليهم بأسلوب أعمى، أم كانت لديهم أسبابٌ وجيهة ومقنعة لقبول تلك الأسفار؟

الجواب عن هذا السؤال هو: نعم، لديهم في الواقع أسبابٌ- ومعايير- أربعةٌ منها أصبحت نقاط اختباراتهم الأولية: الرسوليَّة، القِدَم، الأُرثوذكسية، العالميَّة.

لو كان لدينا الوقت والمجال، كنّا سنناقش بدقّة جميع المصادر الأولى التي ناقش المسيحيون بناءً عليها الأسباب التي دفعت الكنيسة لقبول أو لرفض أسفار محدَّدة واعتبارها موثوقة. وبواسطة تلك الدراسة، يمكن أن نرى ظهور هذه المعايير الأربعة (وغيرها). ولكن ليس لدينا الوقت والمجال للقيام بذلك؛ ففي النهاية هذا كتابٌ مختَصَر! الأمر الجيد هو وجود وثيقة قديمة تعرِض على الأقلّ ثلاثةً من هذه المعايير التي استُخدمت في موضعٍ واحد. تلك الوثيقة التي سُمّيت قانون موراتوري (Muratorian Canon) أو القائمة الموراتوريَّة (Muratorian Fragment)، هي ترجمةٌ لاتينيةٌ تعود إلى القرن السابع أو الثامن لوثيقةٍ كانت قد كُتِبت في الأصل باللُّغة اليونانية في نهاية القرن الثاني على الأرجح. يمكنك رؤية النصّ الكامل منها في أيّ كتابٍ جيِّدٍ وشاملٍ يتحدث عن قانونيَّة الأسفار المقدَّسة، ولكن يكفينا هنا اقتباس بعض العبارات التي توضّح كيفيَّة وضع معايير الاستخدام. فلنبدأ بأهمّها: الرسوليَّة

السبب الأول: الرسوليَّة

الرسوليَّة كلمةٌ معقَّدةٌ بمعنًى بسيط. إنها تشير إلى وثيقةٍ كتبها أحد رسُل المسيح أو صديق مقرَّب لأحد رسُل يسوع. مرةً تلو الأخرى، يعتمد مؤلّف قانون موراتوري على ذلك الاختبار تحديدًا للدفاع عن قانونيَّة الأسفار. يقول مثلًا "كُتِبَ الإنجيل الرابع على يدّ يوحنا، واحدٌ من التلاميذ". وعن إنجيل لوقا يقول إنه كُتِبَ "تحت سلطة الرسول بولس بيد البشير لوقا". وبالمثل يقول عن رسائل بولس "الرسول المُبارك بولس بنفسه... يكتب... بالاسم إلى سبع كنائس".[١٦]

١٦) اقتُبِست من وِغنر (Paul D. Wegner) رحلةٌ، ١٤٧. وأيضًا من جي. ستيفنسون، يوسابيوس الجديد:

كانت الرسوليَّة إلى حدٍّ بعيد هي المعيار الأهم الذي استخدمته الكنيسة الأولى لتحديد قانونيَّة الأسفار المقدَّسة والدفاع عنها. كانت فكرة بسيطة وقوية بشكلٍ كبير: ليس كلّ مَن يكتب كتابًا عن يسوع، يتوقّع أن تعترف به الكنيسة بصفته سِفرًا مقدَّسًا. كلا، فقد جرى تخصيص ذلك المستوى من السلطان لأولئك الذين عيَّنهم يسوع بنفسه رُسُلًا ولقلَّةٍ مُختارة من المقرَّبين للرسُل.

الأمر المُلاحظ والمثير للاهتمام هنا، هو كيف أنّ الكثير من المدّعين الذين ألَّفوا كتبًا مقدَّسةً في النصف الثاني من القرن السادس، حاولوا خداع الكنيسة بافتراض أسماء الرسُل وغيرهم من أتباع يسوع من القرن الأول على وثائقهم! لماذا فعلوا ذلك؟ الإجابة بسيطة، لأنهم علموا أنّ العالم لن يعترف بمصداقيتهم إن لم يتمكّنوا من نشر كتبهم بوصفها نشأت مع الرُسُل أو المرافقين لهم.

السبب الثاني: القِدَم

كان معيار القِدَم وثيق الصلة بمعيار الرسوليَّة. لقد استُخدم في المقام الأول للمساعدة على تحديد ما إذا كانت الأسفار تعود إلى الرُسُل حقًّا. المسألةُ ببساطة هي أنّه لكي يحظى الكتاب بسلطانٍ رسوليّ، فيجب أن يكون قديمًا، ويعود تاريخه إلى القرن الأول. فالكُتب التي كُتِبت في زمنٍ أحدث

وثائق توضّح تاريخ الكنيسة حتى سنة ٣٣٧م، الطبعة الثالثة، مراجعة. دبليو، إتش، سي، فرند (غراند رابيدز، م آي: بيكر الأكاديمية، ٢٠١٣)، ١٣٧-٣٨.

J. Stevenson, ed., A New Eusebius: Documents Illustrating the History of the Church to AD 337, 3rd ed., rev. W. H. C. Frend (Grand Rapids, MI: Baker Academic, 2013), 137–38.

من ذلك، لم تنَل تلك الصلاحية لأنّ جميع الرسُل قد ماتوا مع مطلع القرن الثاني. لذا القِدَم لا يضمن قانونيَّة الكتابات، ولكن عدم وجود هذا المعيار يستبعد تلك الكتابات على الفور.

هذا تمامًا ما نراه في قانون موراتوري، الذي يرفض كتابًا يُدعى راعي هرماس لأنه "كُتِبَ في زمنٍ حديث في عصرنا في مدينة روما على يد هرماس... لذا... لا يمكن في النهاية أن يكون قد قُرأ علنًا في الكنيسة على مسامع الشعب، لا بين الأنبياء الذين اكتمَل عددهم، ولا بين الرسُل"[١٧] إذًا، المسيحيون الأوائل من البداية رفضوا قبوله.

السبب الثالث: الأرثوذكسية (صحّة العقيدة)

المعيار الثالث لتحديد قانونيَّة الكتاب هو توافق ذلك الكتاب مع معيار الحقّ الذي ينعكس في التقليد العقائدي الذي علَّمه يسوع نفسه. في البداية، كان الكثير من ذلك التقليد شفهيًّا، يُنقل عبر السنين بكلماتٍ منطوقة. ولكن مع مرور الوقت، وكتابة العديد من الأناجيل والرسائل وتسلّمها في ما بعد بصفتها كتاباتٍ موثوقة، أصبحت لائحة الأسفار المقدَّسة نفسها المعيار الذي تُقاس عليه غيرها من الكُتب. لذلك، إذا تبيَّن في أحد الكُتب وجود تعاليم تتعارض مع الأسفار المُعتَمدة الموثوقة، يجري رفض ذلك الكتاب. لذا يقول مؤلّف قانون موراتوري عن الأناجيل الأربعة: "رغم أنه يجري تدريس أفكار مختلفة في مختلف الأناجيل، فإنَّها لا تُحدث فرقًا في إيمان المؤمنين، لأنّ كل الأمور مُعلَنة تحت سيادة

١٧) مُقتبس من وِغنر، رحلةٌ، ١٤٨؛ ستيفنسون، يوسابيوس الجديد، ١٣٨.

الروح القدس الواحد وجميعها تتعلَّق بميلاد السيد المسيح، آلامه، قيامته، حديثه مع تلاميذه ومجيئه ثانيةً".[١٨] لم تكن الأناجيل الأربعة فقط رسوليَّةً وقديمةً، بل كانت متَّسقةً مع الحقّ النموذجي أيضًا، وهكذا يجري تسلُّمها بصفتها أناجيل موثوقة دون أيّ تردّد.

السبب الرابع: العالميَّة

هناك معيارٌ آخر أثبتَ أهمّيته في دفاع الكنيسة الأولى عن قانونيَّة الأسفار المقدَّسة المُسَلَّمة: العالميَّة. رأت هذه الفكرة أنّ الكُتب الوحيدة التي يجري الاعتراف بمصداقيتها، كانت تلك التي استعملها وقدَّرها المسيحيون في كل أنحاء العالم المعروف. فإذا ظهرَ كتابٌ من طائفةٍ معيّنة أو كان يُستخدم في جزءٍ معيَّن من العالم، فإنه يُرفَض. من ناحيةٍ أخرى، الكتاب الذي يجري التحقيق فيه لأيّ سببٍ من الأسباب، قد يجد تعزيزًا شديدًا في حال استخدمه المسيحيون في كل أنحاء العالم. بالفعل، إنّ استخدام رسالة العبرانيين وسفر رؤيا يوحنا على نطاقٍ واسع، ساهمَ في الاعتراف أخيرًا بقانونيتهما ضمن قائمة الأسفار المقدَّسة.

إذًا... هل لدينا الأسفار الصحيحة؟

حسنًا، إلى أين يمضي بنا هذا كلُّه؟ أولًا، يصل بنا إلى استنتاجٍ قاطعٍ بأنّ قانونيَّة العهد الجديد لم تكن نتيجةً لبعض المؤامرات الشنيعة القديمة لمنح الأفضلية لمجموعةٍ من الكُتب وحَظْر غيرها من الكُتب التي تقدِّم "منظورًا مختلفًا" عن يسوع. الحقيقة، لم تكن هناك "أسفارٌ أُخرى"

١٨) مُقتبس من واجنر، رحلةٌ، ١٤٧؛ ستيفنسون، يوسابيوس الجديد، ١٣٧.

حتّى وقتٍ متأخر، وبعد ذلك فقط كتحدٍّ معاكس تجاه تقليدٍ راسخٍ وقويٍّ. كما يصل بنا إلى يقينٍ كاملٍ بأنّ المسيحيين الأوائل لم ينادوا ببساطةٍ بالصوفيَّة أو العشوائيَّة، أو بمشاعر تتجاهل الحقّ من منظور شخصٍ يفرض ما يريد أن يراه، كما نقول اليوم، بهدف الدفاع عن لائحة أسفارهم المقدَّسة. بل على العكس تمامًا، كانت لديهم أسبابٌ وجيهةٌ ومقبولةٌ، ولها معنًى تاريخي لتفسير السبب الذي دفعهم لاعتبار تلك الكُتب دون غيرها هي الأفضل للحفاظ على حياة يسوع وتعاليمه؛ كانت الأسباب ذات ارتباطٍ بالرسُل (لذا فهي قديمة)، وتوافقت مع الحقّ في أثناء تسليمها من جيلٍ إلى آخر، وقد اعترف المسيحيون بقيمتها ومصداقيتها في كلّ أنحاء العالم. لذا عندما نتطرَّق للسؤال "هل لدينا الأسفار الصحيحة؟" فكِّر في الأمر على النحو التالي: لم تفشل أيٌّ من الوثائق التي تشكّل العهد الجديد في أيٍّ من هذه الاختبارات المنطقية جدًّا. استغرقت بعض الأسفار وقتًا أطول لتحقيق الاختبارات أكثر من غيرها، ولكن في النهاية، اعترفت الكنيسةُ بكلِّ سِفرٍ، وكلُّ سِفرٍ استوفى المعايير تمامًا ليحظى بسلطان السفر المقدَّس. يعني هذا أنه ما مِن سِفر في العهد الجديد الذي بين أيدينا يجب ألاّ يكون موجودًا، وفقًا لمعايير منطقية. فجميعُ الأسفار قديمةٌ، رسوليَّةٌ، متوافقةٌ مع الحقّ النموذجي الموروث، ومُعترَفٌ بها على نطاقٍ واسع. بكلمةٍ أخرى، جميعُ الأسفار هي شهاداتٌ موثوقة على حياة يسوع وتعاليمه. علاوة على ذلك- وربما الأهم من ذلك- ليست هناك وثيقةٌ واحدة وُجِدت في تاريخ العالم كلّه، يجب أن تنتمي إلى لائحة الأسفار المقدَّسة ولم تُدرج ضمنها. هناك بعض الكُتب التي أثارت التساؤل في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة، ولكن في

النهاية، حُكِمَ على جميعها بأنّها ليست قديمة، أو غير رسوليَّة، أو ليست أرثوذكسية العقيدة، أو لم يجرِ الاعتراف بها على نطاقٍ واسع- أو مزيج من تلك الأسباب. على سبيل المثال، رأينا من قبل أنّ كتاب راعي هرماس أخفق في تحقيق نقطة القِدَم ومن ثَمَّ نقطة الرسوليَّة؛ لأنه كُتِبَ على يد هرماس، لا على يد أيٍّ من الرسُل أو أحد المقرَّبين لأي رسول. وقال المسيحيون الأوائل إنَّه لا يمكن أن يكون جزءًا من لائحة الأسفار المقدَّسة القانونيَّة. وكذلك فشِل إنجيل بطرس (Gospel of Peter) إلى جانب غيره من الكتب الأخرى في نقطتين: (١) زعم بأنه يكشف أمورًا علَّمها يسوع (في السرّ)- أمور تتناقض مع ما عرفه الجميع بشأن ما علَّمه يسوع علانيةً- وبذلك فشل في اختبار أرثوذكسية العقيدة، (٢) استُخدِم في مناطق متفرِّقة ومعزولة عن الكنيسة، لذا فَشِل في اختبار العالمية. وربما من ضمن أشهر الكتب إنجيل توما، الذي رُفِض أخيرًا أن يكون سِفرًا مقدَّسًا موثوقًا، ليس فقط لأنه كُتب في صيغته النهائية في فترة متقدِّمة من القرن الثاني (هذا يعني أنّ الرسول توما لم يكتبه شخصيًّا، فقد كان ميتًا في ذلك الوقت)، ولكن أيضًا لأنه يحتوي على تعاليم يعلَم الجميع أنَّها غريبة، بل مناقضة لتعاليم يسوع المعروفة جيدًا وسط الجموع.

فلأضع الفكرة كالتالي: لنتفرض أنك تملك سجلًّا فارغًا، ولديك الفرصة بأن تضع لائحةً بأسفار العهد الجديد الخاصّة بك، ماذا كنت لتفعل؟ كيف ستحدِّد قائمةً من الوثائق القديمة التي ينبغي الوثوق بها في مقابل تلك التي لا ينبغي الوثوق بها؟ "كي تكون محطَّ ثقة" هل تعتقد أنك قادر على التوصّل إلى معايير أفضل من كتاب:

١. ينبغي أن يُكتَب أو يُعتَمَد من قِبل مَن كانوا أقرب ليسوع (القِدَم والرسوليَّة)؛
٢. يجب ألّا يبتعد عن تعاليم المسيح التي عرفناها (أرثوذكسية العقيدة)؛
٣. يجب ألّا يكون طائفيًّا أو مخصَّصًا لمنطقةٍ معيّنةٍ، بل أن يُستخدَم على نطاقٍ واسع بين قطاعات واسعة بين المسيحيين"؟

بصراحة، أعتقد أنَّه من الصعب جدًّا التوصُّل إلى ما هو أفضل من ذلك.

للتأكيد على هذه النقطة بالتحديد، ما الأسفار الموجودة في العهد الجديد الحالي التي تريد استبعادها من لائحة الأسفار المقدَّسة"التي يمكن الوثوق بها" الخاصة بك؟ وما مقدار الاختلاف الذي سيُحدثه ذلك في بُنية العقيدة المسيحية؟ بل أكثر من ذلك، ما الأسفار التي ستُصرّ على إدراجها؟ هل ستضغط لإدراج راعي هرماس، رغم أنّ معظم المسيحيين يعلمون أنّ كاتبه رجلٌ عشوائي كتَبه بعد موت يسوع بقرنٍ من الزمن؟ هل ستصرّ على إدراج إنجيل بطرس، الذي لم يكتبه بطرس، بل هو محاولة واضحة للانزلاق في تعاليم يسوع "السرّية" التي لم يسمع بها أحدٌ من قبل (ثق بي، لقد قال ذلك حقًّا)؟ أو ماذا عن إنجيل توما، الذي لم يكتبه توما؟ إنَّه يُطلب منك الاعتراف بقدسيَّة فقراتٍ مثل:

قال لهم سمعان بطرس: "على مريم أن تغادرنا، لأنّ النساء غير جديراتٍ بالحياة".
قال يسوع "ينبغي أن أقودها بنفسي كي أجعلها ذكرًا،

وهكذا تصبح روحًا حيّة تشبهكم أيها الذكور. لأنّ كلّ امرأة ستجعل من نفسها رجلًا ستدخل ملكوت السموات".[١٩]

(نعم هذا مكتوبٌ فيه حقًا). هل ترى ما أريد قوله هنا؟ إذا كنّا صادقين في ضوء كلّ هذا، أشكّ في أننا في النهاية سنتوصّل إلى مجموعة من الوثائق التي يمكن الوثوق بها أفضل من تلك التي أقرّتها الكنيسة.

في الواقع، عندما تفكر في الأمر، ستجد أنّ المسيحيين الأوائل قاموا بعملٍ جيّد جدًّا بتحديد الوثائق التي ينبغي اعتبارها أدلّةً جديرةً بالثقة عمّا قاله يسوع وفعله حقًا. ومن ناحيةٍ أُخرى، لا يبدو أنهم اشتركوا في مؤامراتٍ تتعلق بالسلطة لحَظر بعض الوثائق الجيدة بصورة كاملة. وعلى الجانب الآخر، يبدو أنّ لديهم أسبابًا قويةً جدًّا في جدالهم لصالح الوثائق التي دافعوا عن مصداقيتها.

إذا كانت هذه الحالة تنطبق على جميع الوثائق، إذًا لسنا خائفين من حصولنا على الوثائق الخطأ- أي، أنّ هناك وثائق أخرى في مكانٍ ما، تقدّم لنا صورةً عن شخص يسوع وما فعله أفضل من تلك التي يعرضها العهد الجديد. في الحقيقة، يمكننا الوثوق بأنّ الأسفار التي لدينا هي بالفعل الأفضل- الأقدم، الأكثر جدارة بالثقة، إنّها أفضل ما يمكن الاعتماد عليه.

وأكثر ما يهمُّنا هو التحقُّق من أنّ كتّاب هذه الوثائق كانوا يحاولون نقل معلوماتٍ دقيقة حقًا.

ولكن ماذا لو لم يكونوا قد فعلوا ذلك؟

---

١٩) إنجيل توما (The Gospel of Thomas)، المقولة رقم ١١٤؛ الترجمة الإنكليزية مُقتبسَة من بلومبرغ، أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدّس؟ ٧٣.

الفصل ٥

لكن هل يمكنني الوثوق بك؟

"جميعُ الشوارعِ مزدحمةٌ... ضجيجُ الجماهيرِ كليلةِ رأس السَّنة في المدينة. انتظر لحظة... العدوُّ الآن في الأُفق فوق الباليسدز (أجراف شاهقة شديدة الانحدار). آلاتٌ خماسيةٌ كبيرة. الأولى تعبرُ النهرَ. بإمكاني رؤيتها من هنا... تسلّمتُ نشرةً... أسطواناتٌ مريخيَّةٌ تتساقط في كلّ أنحاء البلاد. إحداها خارج مدينة بوفالو، وأخرى في شيكاغو، وسانت لويس... يبدو أنها متزامنةٌ ومتباعدةٌ... تصل الآن الآلةُ الأولى إلى الشاطئ. يقفُ هناك يراقبُ، ينظرُ إلى المدينة... ينتظرُ الآلاتِ الأخرى. تتصاعدُ كخطّ أبراجٍ جُدد على جانب المدينة الغربي... الآن يرفعونَ المقابضَ المعدنيَّة. هذه هي النهاية الآن. الدخانُ يتصاعدُ... دخانٌ أسود يعمُّ المدينة. الناسُ في الشوارع يرونه الآن! إنهم يركضون باتّجاه نهر الشرق... يسقطُ الآلاف منهم كالفئران! الآن ينتشرُ الدخانُ بسرعةٍ أكبر. وصلَ إلى تايمز سكوير. يحاولُ الناسُ الهروبَ منه، ولكن دون جدوى. إنَّهم يسقطونَ كالذباب! والآن يعبرُ الدخانُ الشارعَ

السادسَ... الشارعَ الخامسَ... مائة ياردة... خمسين قَدَمًا. [ثم صوتُ اختناقٍ، ثم صراعٌ، ثم صمت. ومن ثمَّ فرقعةٌ عبر موجات الهواء:] 2X2L ينادي CQ... 2X2L ينادي CQ... نيويورك؟ هل مِن أحدٍ على الهواء؟ هل مِن أحدٍ على الهواء؟ ألا يوجد أحدٌ...“[٢٠]

في مساءِ يوم الأحد في ٣٠ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٣٨، في الساعةِ الثامنة والربع تقريبًا، موعد بثّ الأخبار التي يسمعها الناسُ في جميع أنحاء البلاد، إذ يضبطون الموجات على تردُّد برنامج كولومبيا الإذاعي (CBS). في غضونِ دقائق، كان مدير المحطّة، التي مقرّها في نيويورك، يتحدث عبر الهاتف مع رئيس بلدية الغرب الأوسط بغضبٍ، مطالبًا بإيقاف المحطة لنشرتها الإخبارية لأنّ الحشود قد بدأت بالتزاحم في شوارع بلدته. وبعد فترة وجيزة، تدفّق الصحفيون من وسائل إعلاميةٍ أخرى إلى مقرّ شبكة CBS، مطالبين بالإجابات. وإليك الطريقة التي وصفَ بها الـمُنتجُ المشهدَ:

كانت الساعاتُ التالية مثل الكابوس. امتلأ المبنى فجأةً بالناس وبالزيّ الأزرق الداكن... وأخيرًا أُطلِقت الصحافة علينا، وانتشرت صيحاتُ الرُعب. ما عدد الوفيات التي سمعنا عنها؟ (إشارة ضمنية إلى أنهم يعرفون الآلاف)، ما

٢٠) ”حرب العوالم“ The War of the Worlds، أرشيف نص مقدَّس من الإنترنت، بتاريخ ٢٦ مايو/ أيار، ٢٠١٥.
http://www.sacred-texts.com/ufo/mars/wow.htm.

> الذي نعرفه عن التدافع المميت في قاعة جيرسي؟ (إشارة ضمنية إلى أنه كان واحدًا من بين الكثير)، ماذا عن وفيات المرور؟ (يجب ملء الخنادق بالجثث)، ماذا عن حالات الانتحار؟ (ألم تسمع عن تلك الحادثة التي حدثت في ريفر ساید درایف (Riverside Drive)؟ كلّ ذلك كان مُبهمًا في ذاكرتي ورهيبًا جدًّا.[٢١]

والشكر لله إذ تبيَّن أنَّه في الواقع لم تكن هناك وفياتٌ إطلاقًا في تلك الليلة– لا من التدافع، ولا من حركة المرور ولا نتيجة انتحار. كما لم تكن هناك حالات وفاةٍ على يد سكّان المرّيخ. وذلك بسبب "برنامجٍ إخباري" أثار تقريره الرعبَ بين الكثيرين، في الواقع كان ذلك اليوم مجرَّد برنامجٍ إذاعيٍّ دراميّ لرواية إتش. جي. ويلس (H. G. Wells) حرب العوالم.

لطالما تساءل الناسُ عمّا أثارَ الذعرَ بين البشر بسبب برنامجٍ إذاعي. أعني، لقد سمعوا بالفعل أعمالًا دراميةً خياليةً من قَبل؛ و"حرب العوالم" كان جزءًا من سلسلةٍ اسمها مسرح عُطارد على الهواء The Mercury Theatre on Air. ولكن في هذه الحالة، هناك عدّةُ عواملٍ منها– مخاوف بشأن الحرب وشيكة الحدوث مع ألمانيا، حقيقة وجود فواصل إعلانية متباعدة في البرنامج أكثر من المعتاد، هناك عدد من المستمعين لم يستمعوا لبداية البرنامج بسبب عرض برنامجٍ شعبيٍّ على قناةٍ أخرى في التوقيت نفسه– جميعُها خلقَت عاصفةً جعلت عددًا كبيرًا من الناس يعتقدون أنّ سكان المريخ كانوا يغزون مدينة نيويورك!

---

٢١) جون هاوسمان، الاختراق: مذكرات John Houseman, Run Through: A Memoir (New York: Simon & Schuster, 1972), 404.

من الرائع مقارنة تلك الحادثة بالروايات التي تتناول حياة يسوع في الكتاب المقدَّس. ماذا لو كنّا مثل أولئك الناس الذين استمعوا لإذاعة CBS، برنامج "حرب العوالم". لقد أسأنا ببساطة فهم غاية كُتَّاب الكتاب المقدَّس؟ ماذا لو لم يكونوا بالفعل يحاولون أن يخبرونا بما كان يحدث، بل كانوا يحاولون القيام بأمرٍ آخر- ربما كتابة روايةٍ خياليةٍ، أو تأليف أسطورةٍ، أو حتّى يحاولون خداعنا؟ بعباراتٍ أخرى، منحنا الثقة الآن بأنَّ:

١. ترجماتنا للمخطوطاتِ الكتابيَّة موثوقةٌ.
٢. مخطوطاتنا الكتابيَّة تعكسُ بدقّةٍ ما كُتِب في المخطوطات الأصلية.
٣. وأننا في الواقع، نبحث في المستندات الصحيحة والأفضل للحصول على المعلومات.

السؤال التالي هو، هل يمكننا الوثوق بأنَّ مَن كتبوا الوثائق الكتابيَّة هم أنفُسهم أشخاصٌ جديرون بالثقة؟ هل أرادوا حقًّا إخبارنا بدقّة ما اعتقدوا أنَّه حدث؟[٢٢]

البحثُ عن الأدلّة

إنَّ الأمرَ المثيرَ للاهتمام إزاء فشل "حرب العوالم" هو أنَّه مرارًا وتكرارًا

٢٢) لكتابة هذا الفصل، اعتمدت على كريغ بلومبرغ، المصداقية التاريخية للأناجيل، الطبعة الثانية. Craig L. Blomberg, The Historical Reliability of the Gospels, 2nd ed. (Downers Grove, IL: IVP (Academic, 2007

في أثناء البرنامج، قدّمَ المذيعونَ دلائل تشير إلى أنّ ما نستمع إليه ليس تقريرًا إخباريًّا حقيقيًّا بل دراما خياليَّة. وأيضًا لم يخفوا الأدلّة. على سبيل المثال، كانت الكلمات الأولى التي أُذيعت على موجات الإرسال، "يقدّم لكم برنامج كولومبيا الإذاعي والمحطات التابعة له أورسون ويلز ومسرح عطارد على الهواء في حرب العوالم، تقديم هربرت جورج ويلز".[٢٣] كذلك كانت الكلمات التالية بعد الرجُل الذي اختنقَ من تأثير غاز المريخ "أنتَ تستمع لعرضٍ تقديميٍّ لبرنامج CBS من أورسون ويلز ومسرح عطارد على الهواء في قالبٍ دراميٍّ أصليٍّ لقصَّة حرب العوالم التي كتبها هربرت جورج ويلز. سيستمر العرض بعد استراحةٍ قصيرة".[٢٤]

توقَّف البرنامجُ بسبب الإعلانات أربع مراتٍ في أثناء البثّ. ومع ذلك، التزمَت CBS في ذلك المساء إذاعةً إعلانٍ ولأكثر من ثلاث مرات على شبكة البلاد بأكملها يُذاع فيه أنّ المريخ لم يهاجم البلاد فعليًّا!

> الأمر لأولئك المستمعين الذين ضبطوا موجات إذاعاتهم على إذاعة أورسون ويلز، برنامج "مسرح عُطارد على الهواء" من الساعة الثامنة حتّى التاسعة مساءً بالتوقيت الشرقي في تلك الليلة ولم يدركوا أنّ البرنامج كان مجرَّد تعديلٍ مُحدَّث لرواية حرب العوالم المشهورة لهربرت جورج ويلز، نحن نكرر الحقيقة التي تمّ توضيحها أربع مرات في البرنامج، وهي أنّه عندما يجري استخدام بعض

٢٣) "حرب العوالم".

٢٤) المرجع السابق نفسه.

> أسماء المدن الأمريكية، كما هي الحال في جميع الروايات والأعمال الدرامية، فإنَّ القصة وجميع أحداثها بالكامل هي من نسجِ الخيال.[٢٥]

الأمر المثير للدهشة- وتلك كانت غاية CBS من ذلك الإعلان الأخير الملتوي- أنه كان على الناس أن يسمعوا الأدلّة! من المفترض أن يلتفتوا إلى المؤشرات التي في البرنامج نفسه التي لم تكن الغاية منها سرد أحداث حقيقية فعليًّا. كلُّ شيء كان واضحًا أمامهم.

حسنًا، بالعودة إلى سؤالنا، يجب أن نسأل الآن فيما لو كان الكتاب المقدَّس يقدِّم لنا أيّة دلائل من هذا القبيل. هل يقدِّم لنا أيَّ مؤشرٍ يدفعُنا لقراءة كلِّ شيء، لا كمحاولة في التاريخ، وإنَّما كخيالٍ أو أسطورةٍ أو خرافةٍ أو أي أمرٍ آخر؟ حسنًا، يقدِّم لنا الكتاب المقدَّس بالفعل بعض الأدلّة، ولكنَّها في الحقيقة تشيرُ إلى الاتّجاه الآخر. جميعُها يُشير إلى نتيجةٍ مفادُها أنّ كُتَّاب الكتاب المقدَّس كانوا في الواقع يرغبون في الإبلاغ عن أحداثٍ كما رأوها بدقّة.

ماذا كانوا يفعلون؟

إليكَ الأمر هنا. إذا أردتَ التحقُّق من وجود نيَّة أخرى لدى كُتَّاب الكتاب المقدَّس تختلف عن إعداد تقريرٍ دقيقٍ، فإنَّ المصداقيّة الفكرية لا تتطلَّب

٢٥) هادلي كانتريل، هيزل جوديت، وهيرتا هيرزوغ، الغزو من المريخ: دراسة في علم النفس عن الذعر، مع سيناريو كامل للإذاعي الشهير أورسون ويلز (برينستون، نيوجرسي، مطبعة جامعة برينستون، ١٩٤٠) ٣٤-٤٤.
Hadley Cantril, Hazel Gaudet, and Herta Herzog, The Invasion from Mars: A Study in the Psychology of Panic, with the Complete Script of the Famous Orson Welles Broadcast (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1940), 43–44.

مجرَّد التحقُّق من هذا الادّعاء، بل لا بدَّ من تقديم اقتراحٍ بديلٍ معقول. إذًا إن لم يكونوا يحاولون نقل الأحداث بدقّة، فما الذي كانوا يفعلونه بالضبط؟ فلنفكِّر في الأمر:

١. ربما كان لدى كُتَّاب الكتاب المقدَّس غرضٌ غير تاريخيٍّ في كتاباتهم. ربما كانوا مثل هربرت جورج ويلز، يكتبون فقط روايةً من نوعٍ ما، والتي عرفوا أنَّها ليست حقيقةً وأيضًا لم يريدوا تناولها على أنها حقيقة. وبالمثل، ربما كانوا يصيغون أسطورةً- أي، اتّخاذ مجموعةٍ من الأحداث غير المهمَّة إلى حدٍّ ما وتجميلها بتفاصيلَ استثنائيةٍ. بالفعل، مَن يطوّرون الأساطير يعتقدون في الغالب أنَّ قصصهم قد تروي أمرًا ما، ولكن بشكلٍ غامض- عن حقيقة أو أصول شعبهم، حتى وإن كانوا يعلمون بأنّ تفاصيلَ القصَّةِ الغريبةِ مُحاكةٌ. ولكن المشكلةُ هي أنّ المستمعين والقرّاء لاحقًا لا يميّزون دائمًا بين الاثنين، ويفكّرون في أنّ القصَّةَ بأكملها حقيقيةٌ. لذا قد يكونُ ما لدينا في الكتاب المقدَّس هو عبارةٌ عن خيالٍ أو أسطورةٍ غير مسجَّلة، والمسيحيون لم يدركوا الحيلة.

٢. ربما كان لدى كُتَّاب الكتاب المقدَّس غايةٌ مضلِّلة. ربما حاولوا عن قصد، كغيرهم من الناس الذين أتوا قبلهم وبعدهم، تغطيةَ عيونِ الجميع وخداعهم لكي يؤمنوا بأمرٍ لم يحدث فعلًا. ربما كان كلُّ الأمرِ عبارةً

عن خدعةٍ عملاقة، أو عرضَ قوى، أو طموحًا يعيثُ في الأرض فسادًا.

٣. ربما خُدِعَ كُتَّاب الكتاب المقدَّس أنفسُهم. لستَ مضطرًّا إلى التفكير في أنّ هناك من خدعهم عمدًا لتقول ذلك. ربما أذهانُهم خدعَتهم، أو ربما كانت التقاليدُ التي سمعوها من غيرهم من المسيحيين مُحرَّفةً. أيًّا كان السبب، ربما خُدِع الكُتَّاب عن غير قصد.

٤. وأخيرًا، ربما لا يهم كثيرًا ما أراد كُتَّاب الكتاب المقدَّس القيامَ به، لأنهم حتّى وإن أرادوا تقديم وصفٍ دقيقٍ لما حدث، ولكنَّ رواياتهم متناقضةٌ ومحيّرةٌ جدًّا، والأخطاءُ تعصفُ بها بحيث لا يمكننا الوثوق بكل ما يتعلَّق بها.

ربما يجسِّدُ أحدُ تلك السيناريوهات الواقعَ بدقّةٍ فعلًا. ولكن ماذا لو تيَقنّا بأنَّ جميعَها بعيدةٌ عن الحقيقة؟ ماذا لو كان من المرجَّح أنَّ المؤلِّفين لم يريدوا كتابة قصَّةٍ خياليةٍ أو أسطورةٍ، ولم يحاولوا خداعنا، ولم يكونوا هم أنفسُهم مخدوعِين؟ وماذا لو لم تكن كتاباتُهم مليئةً بالأخطاء كما اتَّهمَهم البعضُ؟ في هذه الحالة يمكننا التوصّل إلى نتيجةٍ مبنيَّةٍ على ثقةٍ كاملةٍ بأنَّ المؤلِّفيْن أرادوا حقًّا منحنا معلوماتٍ دقيقة، وعند هذه النقطة يمكننا أن نقول بثقة: "هذه الوثائقُ موثوقةٌ تاريخيًّا". هذا لا لنقول إنَّنا واثقون بأنَّهم أخيرًا على حقّ؛ وهذا سؤال الفصل التالي، ولكنَّه فعليًّا يقطع بنا شوطًا طويلًا؛ فليس من السهل

أن نقول وبكل ثقة "لم يكتب مؤلِّفو الكتاب المقدَّس قصةً خياليَّةً، ولم يحيكوا خدعةً، ولم يكونوا مخدوعين، ولم يكونوا متحيِّرين جدًّا. ولكنَّهم آمنوا حقًّا بحدوث كلّ ما كتبوه".

هل كتبوا قصَّةً خياليَّة؟

فلنبدأ التفكير في هذه المسألة بالنظر في الاحتمال الأول، الذي يتصوّر باحتمال أن يكون لدى كُتَّاب الكتاب المقدَّس هدفٌ غير تاريخي، وبأنهم لم يريدوا لنا فعليًّا أن نؤمن بما قالوه. السؤال الأول الذي نطرحه هنا، هل أخبرنا المؤلِّفون مباشرةً وفي موضعٍ ما، بأنَّهم كانوا يكتبون قصَّةً خياليَّةً، كمذيعي CBS الذين أخبروا مستمعيهم بأنهم كانوا يستمعون لقصَّةٍ درامية؟ الإجابةُ هي لا، فلا يحتوي الكتاب المقدَّس على ما يشابه ذلك. في الواقع، كثيرًا ما يصرِّح كُتَّاب الكتاب المقدَّس وبوضوحٍ عكس ذلك تمامًا. إذ يخبروننا، بقدر ما تتيح لهم الكلمات ذلك، بأنهم يؤمنون بما يقولون ويريدوننا أن نؤمن نحن أيضًا.

إليكم مثالًا هنا، الطريقة التي بدأ بها لوقا بسردِ روايته عن حياة يسوع:

> "إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ" (لوقا١:١-٤).

هل يمكن أن يكون أوضحَ من ذلك؟ لوقا "تَتَبَّعْ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ

بِتَدْقِيقٍ" منذ زمن، وهو الآن "يكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي" قصَّةً من تلك الأمور كي يتمكن زميله ثاوفيلس من التيقّن بشأن صحَّة تلك الأمور التي تعلَّمها عن يسوع. أيًّا كان ما يفعله لوقا، فإنه لا يكتبُ روايةً لمجرَّد إمتاعنا؛ بل يريدنا أن نؤمن بروايته بكل يقين.

يخبرنا يوحنَّا قصده من كتابة قصَّةٍ عن حياة يسوع:

> "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ" (يوحنا٢٠:٣٠-٣١).

هل ترى؟ مرةً أخرى، لا يكتبُ يوحنَّا قصَّةً خياليَّةً؛ ولكنَّه يريد حقًّا أن يؤمن الناسُ بأنّ يسوعَ هو المسيح، هذا يعني أنه يريدنا أن نؤمن بأنّ الأمور التي كتبها في بشارة إنجيله قد حدثت حقًّا.

في مكانٍ آخر، يخبرنا يوحنَّا عن هدفه من الكتابة:

> "اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ... الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١يوحنا١:١، ٣).

هل ترى؟ آخرَ ما يرغبُ فيه يوحنَّا هو أن التجاوب مع ما كتبه في

رسالته بالقول " يوحنَّا، يا له من راوي قصصٍ رائع، يجب أن يوقِّع عَقدًا لكتابة كتابٍ آخر!" كلا، إنّه يريدنا أن نعلم أنه حقًّا رأى وسمع بعض الأمور، بل لمسها واختبرها، وهو الآن يُعلنُها لنا. على الأقلّ وبقَدر ما أعلنَ لنا عن غايته، لم يكتب يوحنَّا قصَّةً خياليَّةً أو أسطورةً؛ ولكنَّه يريدنا أن نؤمن بما يقول. يقدِّم لنا كُتَّاب الكتاب المقدَّس مؤشراتٍ أخرى تتجاوز هذه التصريحات الواضحة التي تعبِّر عن أهدافهم، تبيّنُ رغبتَهم في أن نؤمن بما يكتبونه.

على سبيل المثال، فكّر في تكرار المرات التي أشار بها المؤلِّفون إلى أحداثٍ تاريخيَّةٍ محدَّدةٍ يمكن التحقُّق منها. تملأ الكثيرُ من تلك التلميحات العهدَ الجديد، ولكن يكفينا مثالٌ واحدٌ لتوضيح الفكرة. تفحَّص هذه الفقرة القصيرة من إنجيل البشير لوقا:

> "وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سَلْطَنَةِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ إِذْ كَانَ بِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ وَالِيًا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَهِيرُودُسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الْجَلِيلِ وَفِيلُبُّسُ أَخُوهُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى إِيطُورِيَّةَ وَكُورَةِ تَرَاخُونِيتِسَ وَلِيسَانِيُوسُ رَئِيسَ رُبْعٍ عَلَى الأَبِلِيَّةِ فِي أَيَّامِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ وَقَيَافَا كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ" (لوقا٣:١-٢).

يقول أحدُ المؤلِّفيْن في إشارةٍ إلى هذين العدَدين: "يحشُدُ لوقا ما لا يقلُّ عن واحدٍ وعشرين مرجعًا لأناسٍ تاريخيين وأماكن وظروف، جميعها (يمكن أن تكون في وقتٍ قريب جدًّا من زمن كتابة لوقا لها) قابلةٌ للاختبار

والتحقُّق- أو إثبات عدم صحّتها في حال كان لوقا مخطئًا![٢٦] نجد اهتمام لوقا بالتفاصيل في سِفره الثاني، سِفر أعمال الرسل، وكذلك نجد عند كُتَّاب العهد الجديد وجود مراجع معاصِرة قابلة للفحص متضمَّنة في كتاباتهم. سأكرِّر الأمرَ ثانيةً: لوقا وغيره من كُتَّاب الكتاب المقدَّس لم يكتبوا قصَّةً خياليَّةً أو أسطورةً؛ بل كانوا حريصين على نسجِ قصَصهم في حياةٍ تاريخيَّةٍ قابلةٍ للتحقيق وببنيةٍ مفصَّلة من الواقع. لقد أرادوا لنا بصدق أن نؤمن بما كتبوه.

ولكن ماذا لو أرادوا وبكل إخلاص أن نؤمن بأكاذيب كانوا يسردونها؟

هل كتبوا بقصد الغشّ؟

هذا يقودنا للاحتمال الثاني، الذي يفترض أنّ غاية كُتَّاب الكتاب المقدَّس كانت غايةً مضلِّلة. أليس من المحتمل أنهم كانوا يُحيكون خدعةً على العالم، محاولين جعلنا نؤمن بالأمور التي لم تحدث فعلًا؟ أليس من الممكن أنهم بينما كانوا يصرّون باستمرار على قول الحقّ- حتّى مع إدخال حقائق تاريخيَّة من أجل حسن التدبير- كانوا في الحقيقة يستدرجوننا فقط كي نُخدع ونؤمن ببضعةِ أكاذيب؟

حسنًا، كل شيء ممكن. ولكنَّ هدفنا هنا ليس تحديد أمرٍ إمكانية حدوثه ضئيلةٌ جدًّا. وإنَّما التوصّل إلى نوعٍ من الثقة حيال ما هو مُحتَمل. والحقيقة هي، عندما تفكِّر في الوضع بإمعان، تنخفض احتمالية محاولة

٢٦) ناثان بوسينتز، أسباب تجعلنا نؤمن: خمسون دليلًا تؤكّد الإيمان المسيحي (ويتون، إلينوي: الطريق المتقاطع، ٢٠٠٨)، ١٢٧.

Nathan Busenitz, Reasons We Believe: 50 Lines of Evidence That Confirm the Christian Faith (Wheaton, IL: Crossway, 2008), 127.

كُتَّاب الكتاب المقدَّس خداعنا إلى ما يقارب الصفر المطلق. فلنفكِّر في بعض النقاط.

أولًا، وقبل كل شيء، إنَّ نجاحَ خدعةٍ ضخمةٍ من هذا النوع سيكون صعبًا جدًّا، إن لم يكن مستحيلًا. من ناحية، جميعُ أسفار العهد الجديد السبع والعشرون كُتِبت في غضونِ بضعةِ عقودٍ من حياة يسوع. هذا يعني، أنه عندما بدأ تداول تلك الأسفار، كان لا يزال هناك مئات، بل ربما آلاف، الناس الذين رأوا ما فعلَه يسوع وهو على قيد الحياة. على سبيل المثال، إن كان لوقا يختلقُ بعض الأمور أو حتّى يجمِّلَها، لظَهَرَ عددٌ من الناس قائلين له: "مهلًا، هذا لم يحدث، أنت تختلقُ قصَّتك الخاصة يا لوقا". ليست لدينا أيُّة سجّلاتٍ تُظهر أنّ أحدهم قال ذلك. وتصبح هذه النقطة أقوى، عندما تدرك أنَّه حتّى مَن كانت لديهم الحصّة الأكبر في وضعِ حدٍّ للمسيحية، لم ينكروا أنّ يسوعَ بالفعل قال وفعل الأمور التي ادّعى كُتَّاب الكتاب المقدَّس قيامه بها. لقد اتّهموه ببساطة بأنه كاذب أو بأنه كان مخطئًا. إن كان هناك سببٌ يدعو للاعتقاد أنه لم يقل تلك الأمور- وأنّ الكُتَّاب اختلقوها جميعها- فبكل تأكيد لم يكن لمعارضي المسيحية أن يضيّعوا الفرصة للإشارة إلى ذلك.

ثانيًا، إنَّ إنجاحُ خدعةٍ بتلك القوة وفي ظلِّ وجود عددٍ كبيرٍ من شهود العيان هو أمر صعب، كما أنه إذا حاول أيّ شخصٍ القيام بذلك، فإنَّ الرجالَ الذين اعتُبروا متحدّثين أساسيين لم يكونوا خياراتٍ واضحة. فكِّر في الأمر. هل تعلم أنّ اثنين من كُتَّاب الأناجيل الأربعة- مرقس ولوقا- لم يكونا من رُسُل يسوع، ولم يتقابل أيٌّ منهما شخصيًّا معه؟ كان لوقا صديقًا مقرَّبًا ورفيق سَفرٍ لبولس، ولكنَّه كان أبعَدَ ما يكون عن مكانة

القيادي البارز في الكنيسة ولم يكن لديه أيّة مُطالَبة عميقة بأيٍّ نوعٍ من السُلطة. وكان يوحنَّا مرقس صديقًا ورفيق سَفرٍ لكلٍّ من بطرس وبولس، ولكنَّه اشتُهر فعليًّا بتخلّيه عن بولس في بمفيليَّة، ومن ثم رفَضَهُ بولس "رفضًا شديدًا" عندما أراد معاودة الانضمام إليه (أع١٣:١٣؛ ١٥:٣٧-٤١). حتّى متّى، على الرغم من أنه كان بالفعل واحدًا من الرُسُل، فقد كان جابي ضرائب انتهازيًّا يعملُ لمصلحة الرومان. الآن، إذا كنتَ تحاول خداع العالم بأكذوبةٍ، فمن الصعب أن تتخيل أنّ اختياراتِ مشروعكَ الأولى ستكونُ شخصًا لا نَسَبَ له، مرتدًّا مسبِّبًا للانقسام، وجابي ضرائب. هذه الاختيارات لن تدفعكَ للنجاح حتمًا.

هذا يقودنا إلى النقطة الثالثة، في حال كان كتّاب العهد الجديد يحاولون خداع العالم أو إنجاح كذبةٍ، فما الدافعُ المنطقيُّ لديهم؟ هل لصنع اسمٍ لأنفسهم؟ هل لكي يصبحوا أغنياء؟ أم لكي يصبحوا قادةً أقوياء في كنيسةٍ قوية؟ إن كانت تلك هي خطَّتهم، إذًا علينا الاعتراف بأنها فشلت فشلًا ذريعًا. فمعظم الرسُل قُتِلوا، سواء بقطع رؤوسهم أم بصلبهم أم باستخدام طرق إعدامٍ شنيعة أخرى. علاوةً على ذلك، إذا كان دافعهم أن يظهروا بصورةٍ جيِّدةٍ بطريقةٍ أو بأخرى- أو حتّى أن يكذبوا أو يبالغوا كي تظهر المسيحيةُ بصورةٍ جيِّدةٍ- في هذه الحالة يكونون قد دمّروا أنفسهم عند إدراج الكثير من التفاصيل المحرجة، بما فيها تلك التي جعلت أبطال القصَّة يبدون بصورةٍ أقلَّ بطوليَّة. إذا كنتَ تحاول إنجاح خدعةٍ لتجعل ديانتك الجديدة أكثر جاذبيةً، فلماذا إذًا ستستمر في الإشارة إلى كيف كان قادتُك المستقبليون متشدّدين كالصخر عندما يتعلَّق الأمر بفهم ما كان يسوع يقوله؟ لماذا ستذكر قصَّة بطرس وفهمه

الخاطئ ليسوع حتَّى إنَّه قطع أُذُن رجُلٍ، كي يحظى فقط بتوبيخٍ وكأنَّه طفلٌ مخطئ؟ لماذا ستروي قصَصًا غريبةً عن يسوع (هذا الإلهُ الإنسانُ الكلّي المعرفة الذي تحاول اختراعه) الذي لم يعلَم من لمسَ رداءه، أو ذاك الذي بكى أمام قبرٍ مع اثنتين من النساء، أو لَعَن بقسوةٍ شجرة تينٍ لأنَّها لم تحمل ثمرًا ليأكل؟

نعم، إنّني أعلَم أنّ المسيحيين الذين يقولون كلَّ هذه القصص، لديهم في النهاية معنًى عميق وراءها (وهي كذلك)، ولكنَّ أيَّ واعظٍ مسيحي سيعترف أنّ فهمَها يحتاجُ إلى بعض الجهد؛ فذلك المعنى لا نجده من الوَهلة الأولى. وهنا تكمُن النقطة: إذا كنّا نحيكُ خدعةً بدافع ابتكار ديانةٍ جديدةٍ، يبدو فيها مؤسّسوها وقادتُها أناسًا جيدين، فلن تكون هذه هي نوعية القصص التي يجب ابتكارها. وبكل تأكيد لن تُظهر غسيلك المتَّسخ وأنت تروي قصَّة كيفية تخلّي مرقس عن بولس، ورفض بولس له بعد عودته إليه، والأمر بأكمله تسبَّب في سقوطٍ ضخم. السبب الوحيد الذي يدفعك لقول هذه القصص والإفصاح عن الأمور السيئة علانيةً هو أنَّك لا تريد تحسين صورة الأمور لتبدو جيِّدةً، وإنَّما الإفصاح عنها كما حدثت فعلًا.

يمكنك الانحياز ووضع كلّ شيء علينا وتقول إنّ جميع هذه التفاصيل المُحرجة وضِعت فقط كي تحيد بنا عن الطريق، لتجعلنا نفكِّر في أنها حدثت لذلك جرى ذكرها، بينما في الحقيقة كانوا يكذبون علينا. ولكن عند هذه النقطة ستكون وصلتَ إلى طبقاتٍ أعمَق في نظرية المؤامرة، وسيكون من العدل أن نتساءل ما إذا كان هدفك هو حقًّا الوصول إلى الحقيقة أو مجرد الدفاع عن افتراضاتك الخاصّة.

على أيَّة حال، فلأصغ نقطةً أخرى هنا- نقطةً تنطبق على كلّ ما قد قلناه في هذا الفصل حتّى الآن. لا أحد يموت من أجل قصّة خياليَّة، ولا أحد يموت من أجل مجرَّد خدعة. إذا كان هدفك من كتابة شيءٍ ما هو مجرَّد كتابة رواية أو حياكة خدعة، في هذه الحالة لا تتمسك بالقصَّة التي كانت مرةً خدعة وانتهت وأوشك ذهنُك على التخلُّص منها. الطريقة الوحيدة التي تجعلك تتمسك بالقصَّة تحت ذلك النوع من الظروف هي إيمانُك بأنّ ما كتبتَه حدثَ حقًّا. وهذا تحديدًا ينطبق على مَن كتبوا العهد الجديد. حتّى إنَّهم كانوا يعلَمون أنَّهم وبينما كانوا يكتبون ويعلِّمون، كان من الممكن أن يُقتلوا بسبب ما كانوا يقولونه. ولكن ومع كلّ التهديدات والوعود، بل حتّى في أثناء لحظاتِ موتهم، تمسَّكوا بما كانوا يقولونه. فسّرها كما تشاء. هؤلاء الرجال لم يكتبوا قصّةً خياليَّةً، ولم يكذبوا. لقد آمنوا بما كتبوه، وأرادوا لنا أن نؤمن به أيضًا.

هل كانوا مخدوعين ببساطة؟

ولكن هناك احتمالٌ آخر، أليس كذلك؟ ماذا لو لم يكن كُتَّابُ الكتاب المقدَّس مخادعين، إنَّما هم أنفسُهم مخدوعون؟ جرى اقتراح هذه النظرية بعدّة صيغ مختلفة على مرّ العصور، ولكنَّها لم تُثبَت. على سبيل المثال، إحدى النسخ الشهيرة من تلك الصيغ، تتَّهم كل التلاميذ بأنهم مصابُون بهلوسةٍ جماعيةٍ عن يسوع المـُقام، ومن ثمَّ العودة وكتابة أساطير لملء الخلفية الدرامية. ولكن هذه الصياغة لا تحتاج إلى الكثير من التفكير لإدراك استحالتها، "فالهلوسة الجماعية" فكرةٌ لا معنى لها أصلًا. فالهلاوس بتعريفها، داخلية وشخصية وفردية، وهي تحدث في عقل الشخص بصورةٍ

فردية، إلاّ إذا أردت افتراض نوعٍ من الإدراك اللاشعوري أو التواصل العقلي الخارق بين البشر، لذا فهي ليست مُعدية. إلى جانب ذلك، نظرًا إلى عدد المجموعات المختلفة التي أقّرت أنها رأت يسوع، والأزمنة المختلفة، وعلى مرّ أسابيع عديدة، تبدو فكرة الهلوسة الجماعية المستمرة والمُعدية فكرةً سخيفة.

هناك نسخةٌ أخرى أكثر تطوّرًا من هذه النظرية تدّعي أنّ تلاميذ يسوع كانوا يعانون جرّاء نوعٍ من التفكير الحالم المَرَضي. تقول الحجّة إنه بسبب عدم قدرتهم على قبول موت يسوع، عاشوا في عالمٍ خياليٍّ من الاعتقاد والادّعاء أنَّه كان حيًّا حقًّا، ومن ثم كتبوا أسطورةً لإنشاء الخلفية الدرامية. على الرغم من أنّ المادة أكثر تطورًا، فإنَّ فكرة كون التلاميذ كانوا يعانون تفكيرًا حالمًا مَرَضيًّا تتساوى من حيث المنطق مع فكرة الهلوسة الجماعية. هذا لأنه، وبغضّ النظر عن أيّ أمرٍ آخر، لا يمكن أن يكون التلاميذ قد تمنّوا قيامة يسوع من الأموات. حتّى وإن كانت قلوبهم محطَّمة ولم يتمكّنوا من التصالح مع موته وجاهدوا لإيجاد بعض الطرق لمواصلة الاعتقاد أنَّه كان لا يزال حيًّا، فلن يرتجلوا فكرة قيامته كي يريحوا أنفسهم إطلاقًا. لِـمَ لا؟ لأنه لليهود في القرن الأول، كانت القيامةُ مفهومًا لاهوتيًّا ذا معنًى محدَّد جدًّا: لقد كانت حدثًا يحدث فقط في نهاية الزمن عندها سيقوم جميع الأموات معًا، بعضهم ليُدان أمام الله والبعض الآخر ليُمَجّد. فلا يوجد في تاريخ الفكر والدين أيُّ أمرٍ من شأنه أن يزرع في أذهان التلاميذ فكرة اختبار شخصٍ واحدٍ للقيامة وتمجيده في وقت مبكّر. بالفعل، إنّ تهمة "التفكير الحالم المَرَضي" ستبدو منطقيةً أكثر إذا ادّعى التلاميذ أنّ يسوع كان حيًّا روحيًّا فقط، أو أنَّه لم يمت حقًّا

أو حتّى إنه قام من بين الأموات (مثل لعازر). ولكن الذي ادّعوه هو أنّ يسوع اجتاز الموت وخرج من الجانب الآخر حيًّا، كان هذا أمرًا جديدًا ولم يسبق له مثيل. إنَّ فكرةً مثل هذا النوع- التي تتطلب إعادة تقويم وجهة النظر بالكامل- لا تظهر في ذهنك فجأةً نتيجةً للأمنيات؛ بل إنها تنمو ببطء وتتجذَّر عندما تسبَّب الأمورُ التي رأيتَها واختبرتَها في جعل جميع التفسيرات الأخرى مستحيلةً تمامًا.

علاوة على ذلك، إنّ التفكير الحالم الساذج الراغب في الاعتقاد أنّ يسوع كان حيًّا، هو تفكيرٌ معاكسٌ تمامًا للطريقة التي وصف بها كُتَّابُ الكتاب المقدَّس التلاميذَ.

يقول متّى إنّ "بَعْضَهُمْ شَكُّوا" (متّ١٧:٢٨)، ويقول لوقا إنه عندما جاءت النساء يخبرن أنّ يسوع كان حيًّا، "فَتَرَاءَى كَلاَمُهُنَّ لَهُمْ كَالْهَذَيَانِ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُنَّ" (لوقا١١:٢٤). حتّى عندما ظهر يسوع للتلاميذ، يقول لوقا "فَجَزِعُوا وَخَافُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ نَظَرُوا رُوحًا" (لوقا٣٧:٢٤). أيضًا هناك توما، الذي رفضَ أن يصدِّق حتّى وضع إصبعه في مكان المسامير، ويديه في جنبي يسوع (يوحنا٢٠:٢٤-٢٥).

لا شيء من هذا التشكُّك (توقُّع حجَّة مضادَّة) يُعرَض في الكتاب المقدَّس على أنه فضيلة، كما كان يقول بعض المؤلِّفيْن: "انظر إلى هؤلاء الرجال الحازمين في آراءهم، غير الساذجين إطلاقًا. من المؤكَّد أنهم من بين جميع الناس لن يؤمنوا بأنّ يسوع كان حيًّا ما لم يحدث ذلك حقًّا!" على العكس من ذلك، يصوِّر لنا الكتاب المقدَّس عدم إيمان التلاميذ باعتباره إحراجًا كبيرًا. فيسوع يوبّخهم أكثر من مرة على عدم إيمانهم، حتّى إنَّه

يقول لتوما تحديدًا، "لقد آمنتَ لأنكَ رأيتَ، ولكن طوبى لمن آمنَ ولم يرَ!" هل ترى المغزى هنا؟ بتسليط الضوء على فشل التلاميذ في الإيمان، لا يصوّرهم الكتاب المقدَّس بوصفهم نماذجَ للتشكُّك الصُّلب والمدفوع بالأدلّة. إنَّه يروي لنا ما حدثَ، حتّى وإن كان الأمر محرجًا، وبالتأكيد ما حدثَ لم يكن حالةً من التفكير الحالم المَرَضي.

الصيغة الأخيرة من الطرح التي تناقش انخداع كُتَّاب الكتاب المقدَّس هي أنّ التقليد الشفهي الذي اعتمد عليه كُتَّاب الكتاب المقدَّس أحيانًا في كتابة كُتبهم، لا بدَّ أنَّه قد حُرِّف على مرّ السنين. ففي النهاية، مات يسوع في سنة ٣٣ ميلادية، وأقدَمُ إنجيلٍ في العهد الجديد لم يكُتب إلّا في سنة ٦٠ ميلادية تقريبًا. هل يُفترَض أن نعتقد حقًّا أنّ تعاليم يسوع والقصص التي تتحدث عنه يمكن أن تصمد وهي سليمة، دون أن تُحرَّف ويُضاف إليها أو يُحذف منها شيء، طوال سبعٍ وعشرين عامًا من تناقلها شفهيًّا؟ مرةً أخرى، يجب أن نذكر بعض الأمور هنا. أولًا وقبل كل شيء، رغم أنّه يبدو أنّ معظّم كتّاب العهد الجديد قد استخدموا تناقل المعلومات شفهيًّا إلى حدٍّ ما، فيجب أن تتذكَّر أنّ معظمهم- مثل متّى، يوحنا، بطرس، يعقوب ويهوذا- كانوا شهودًا على كلِّ الأمور. فإذا جرى تحريفُ التقليد الشفهي، سيعرفون ذلك. ليس هذا فقط، ولكن عندما تجمع بين ادّعاء يسوع أنّ تعاليمه لها سلطان أنبياء العهد القديم ذاته مع حقيقة أنّ جزءًا كبيرًا من تعاليمه كان محفوظًا في صيغٍ بليغةٍ وسهلة الحفظ، فلن يكون من المفاجئ إطلاقًا أنّ المسيحيين الأوائل كانوا قادرين ومصمِّمين على تذكُّرها وتلاوتها كلمةً بكلمة لفترةٍ زمنيةٍ طويلةٍ جدًّا.

فوق كلّ ذلك، عندما يتعلَّقُ الأمرُ بتناقل المعلومات شفهيًّا، يجب أن تدرك أنّ سبعةً وعشرين سنة ليست بالفترة الزمنية الطويلة إطلاقًا للحفاظ على سلامة التقليد المتناقل. فلنجرِ اختبارًا. اقرأ أغنية الأطفال "جاك وجِل"، أقول بجدّية، هيا افعل ذلك. عليك ألَّا تقرأها بصوتٍ مرتفع، ولكن على الأقلّ ردّدها في ذهنك، استعرض كل كلمات "جاك وجِل". أفترض أنك الآن تقول شيئًا من هذا القبيل:

جاك وجِل
صعدا التلّة
لإحضار دلوٍ من الماء؛
سقطَ جاك نحو الأسفل
وكسَر تاجه
وجاءت جِل متهاويَّة بعده.

هل تعلم متّى كُتِبت "جاك وجِل"؟ كلا، لا تعلم. لا أحد يعلم، رغم أنه لا يزال هناك جدلٌ كبير إزاء هذا السؤال! بقدر ما نعلَم، أقدَمُ منشورٍ باقٍ للقصيدة يأتي من كتابٍ بعنوان "لحن الإوزَّة الأمّ" (Mother Goose's Melody)أو "قصائد المَهد" (Sonnets for the Cradle)، طُبِعت في لندن في ١٩٧١م، قبل أكثر من مئتي عام.[٢٧] النقطةُ هنا، هل سَبَقَ لك ورأيت ذلك الكتاب؟ هل درستَ "جاك وجِل" عبر قراءتها في طبعة ١٧٩١م لكتاب

٢٧) صورة مطابقة من إصدار ١٧٩١م من "لحن الإوزَّة الأمّ"، يمكن إيجادها في دبليو. ف. بريدو، "لحن الإوزَّة الأمّ"، نسخةٌ مطابقةٌ لأقدَم طبعةٍ معروفة، مع مقدّمة وملاحظات (لندن: أ، اتش، بولن، ١٩٠٤)، متوافرة في الأرشيف على شبكة الإنترنت، بتاريخ ٢٦ مايو ٢٠١٥.
https://archive.org/stream/mothergoosesmelo00pridiala#page/n27/mode/2up.

"لحن الإوزَّة الأم"؟ أراهنُ على أنَّك لم تفعل ذلك؛ في الواقع، أراهنُ على أنَّك لم تنظر في الكتاب مُطلقًا. أراهنُ أنّ هناك من علَّمك ترديدها في مرحلةٍ ما من حياتك.

بالإضافة إلى ذلك، أراهنُ على أنّ الشخص الذي علَّمك قصيدة "جاك وجِل" لم ينظر حتّى في كتاب ١٧٩١م ولا حتّى في أيّ كتابٍ آخر. فعلى الأرجح هناك من علَّمَه إياها، وهذا الشخص تعلَّمها من شخصٍ آخر، والذي بدوره تعلَّمها من شخصٍ آخر من مدةٍ طويلة. هذا هو التقليد الشفهي. إذًا، كيف تتخيَّل المئتي سنةٍ الماضية أو أكثر والكمَّ الهائل من التناقل الشفهي الذي أحدَث تحريفًا وتغييرًا في "جاك وجِل"؟ كم تتوقع مدى الاختلاف بين نسختنا الحديثة والنسخة التي نُشرِت في عام ١٧٩١م؟ لنُلقِ نظرةً:

جاك وجِل
صعدا إلى التلّ
لإحضار دلوٍ من الماء
سقط جاك نحو الأسفل
وكسَر تاجَه
وجاءت جِل متهاويةً بعده.[٢٨]

تلك هي الطريقة التي طُبِعت بها كاملةً في عام ١٩١٧م! الطريقة التي نقرأ بها قصيدة "جاك وجِل" اليوم هي الطريقة نفسها التي قُرأت

٢٨) بريدو، "لحن الإوزَّة الأمّ"، ٣٧.
https://archive.org/stream/mothergoosesmelo00pridiala#page/n37/mode/2up.

بها على مرّ مئات السنين الماضية. هكذا فلأقولها مرةً أخرى: الحفاظ على صحّة الأمور على مرّ سبعةٍ وعشرين سنة فقط من تناقل المعلومات الشفهية، لن يكون بالأمر الصعب.

المسألة هنا ليست التوازي بين قصيدة "جاك وجِل" والتقليد الشفي للعهد الجديد تحديدًا؛ كلا، وعلى الأرجح يمكنك تحديد عدّة اختلافات بين الاثنين. ولكن المسألة ببساطة أنّ الحفاظ على التقليد الشفهي على مرّ فترةٍ زمنيةٍ طويلة، ليس بالأمر الصعب كما يبدو لنا، وليس مستحيلًا.

هذا ما توصَّلنا إليه: أخيرًا لم يُثبَت أيٌّ من الأشكال المختلفة لنظرية "المؤلِّفيْن المخدوعين". وتهمة التلاميذ بأنهم مصابون بهلوسةٍ جماعيةٍ تفتقرُ إلى المصداقية وليس لها معنًى بكل الأحوال. وكذلك الأمرُ لاتّهام التلاميذ أنهم يعانون تفكيرًا حالمًا مَرَضيًّا. وأخيرًا، بوصفهم شهودَ عَيانٍ للأحداث الفعلية، لم يكونوا ضحايا أو يجهلون وجود تناقلٍ شفهي محرَّفٍ للمعلومات على مرّ سبعةٍ وعشرين سنة.

هل كانوا مشوَّشين تمامًا؟

لم يكن كُتَّابُ العهد الجديد يكتبون روايةً خياليَّةً، ولم يحاولوا خداعنا، ولم يكونوا هم أنفسُهم مخدوعين أو واهمين. وبذلك يبقى الاحتمال الأخير، وهو أنَّ غرض الكُتَّاب في النهاية ليس مهمًّا؛ وسبب عدم أهمِّيته هو أنّه حتّى وإن كانوا يحاولون منحنا وصفًا دقيقًا لما حدث، فإنَّ كتاباتهم محيِّرة جدًّا ومتناقضة وتطغى عليها الأخطاء لدرجةٍ لا يمكننا الوثوق بها.

ربما أهمّ ما يمكننا قوله ردًّا على هذه التهمة أنَّها فكرةٌ خاطئةٌ لدى

الكثيرين مِن الذين لم ينظروا في الأدلّة، وتقريبًا لم ينظر أحدٌ فيها. وذلك لأنَّه رغم أنّ الكتاب المقدَّس تعرَّض للحرق والهجوم المُطوَّل الذي دام لأكثر من مئتي عام من المتشكّكين، من المنطقي أن تقول إنّ كل تناقض مزعوم أو تضارب أو خطأ يقابله على الأقلّ حلٌّ منطقيٌّ واحدٌ أو ربما أكثر. إنَّني أُدركُ أنّ هذا جزمٌ هائل وكاسح، وأفضل طريقة لإثباته ستحتاج إلى مئات الصفحات في إنشاء خلاصةٍ من "نقاط المشكلة" كما هو مزعوم، ثمّ تحليلها لمعرفة ما إذا كان هناك قرارات مقبولة. في الحقيقة لن نقوم بهذا العمل الشامل الشجاع هنا، فهناك الكثير من الكُتب التي قامت بهذا العمل عدّة مرات. فإذا حيّرتك بعض الوقائع المحددة في الكتاب المقدَّس، أُشجِّعكَ أن تبحث عن واحدٍ من هذه الكتب. ابحث عن المشكلة واقرأ عنها، فبالدراسةِ الحليمةِ والفهمِ الدقيقِ تُحلُّ معظم المشاكل المستعصية.

من ناحيةٍ أخرى، إذا كنت الشخصَ الذي يوجّه هذه التهمة ضد الكتاب المقدَّس، في هذه الحالة فلأتكلم بصراحة: أعتقد أنّ عليكَ مسؤوليةً فكريةً، إمّا بأن توقف توجيه تلك التهمة وإمَّا أن تقرأ ثمر جهود إيمان مفكِّرين مسيحيين جيِّدين عملوا على صياغة حلولٍ مقبولةٍ- محتملة عادةً- للتناقضات والأخطاء التي يزعمها المتشكّكون. في النهاية، أنا أعلم أنّ كل ذلك العمل قد لا يقنعك تمامًا. قد تذهب بعيدًا ولا يزال في ذهنك أسئلةٌ كثيرةٌ أو استهجانٌ لبعض الفقرات، وهذا أمرٌ مقبول. ولكنَّني أوكّد لك، أنك إذا قمت بذلك العمل، ستكون لديك إجاباتٌ مُقنعةٌ أكثر. وعلى ذلك، ما لا يمكنك فعله ببساطة- بوجود النزاهة الفكرية على الأقلّ- هو الإصرار على أنّ الكتاب المقدَّس متناقضٌ ومليءٌ بالأخطاء، ولكن في الوقت نفسه ترفض القيام بالعمل الضروري لاختبار هذه القناعة المجزومة

لديك. لذا، تحقَّق من الأمر أولًا، فقد تندهش مما يمكن أن تجده.

في الواقع، اتضح أنّ جميع التناقضات المزعومة التي طرحها المتشكّكون لا تُكوِّن إشكاليَّةً عندما تقرأها بعنايةٍ أكثر. فرغم مرور قرنَين من النقد الشديد، فقد قدّم العلماء أحكامًا منطقيةً لكلِّ التناقضات المزعومة. فلستَ بحاجة إلّا إلى نزاهةٍ فكريةٍ كافيةٍ لتخصيص الوقت الكافي لدراستها في أحد الكُتب.

ولكن ماذا لو لم تقتنع بأيٍّ من التفسيرات، حتّى بعد دراستها بعناية؟ من المفترض أن تسأل نفسك "هل التباين الظاهري في الروايات يُثبتُ بالقدر الكافي عدم حدوث أيّ شيء، أو أننا لا نستطيع أن نعرف أيَّ شيءٍ عمّا حدث؟" أي، ما المعنى من قولنا "يخبرنا متّى بوجود امرأتَين عند قبر يسوع الفارغ، بينما يذكر لوقا وجود ثلاث نساء أو أكثر عند قبره الفارغ. من الواضح، أننا لا نستطيع معرفة ما حدث إطلاقًا في صباح ذلك الأحد". حتمًا لن تقولَ ذلك! فالإشارة إلى بعض الاختلافات الظاهرية في التفاصيل في روايات شهود العيان قد تعني أمورًا عديدةً، ولكنَّها قطعًا لا تعني أنّ شيئًا لم يحدث، كما لا تعني أننا لا نستطيع معرفة ما حدث.

إنّ السؤال المتعلِّق بعدد النساء اللواتي كنَّ عند القبر الفارغ، يقدِّم لنا مثالًا جيدًا عن كيفية التوفيق بين التناقضات الظاهرية وبسهولة. لا يدّعي متّى أنّ اثنتين فقط من النساء ذهبتا إلى هناك؛ ولكنَّه يذكر فقط اثنتين بالاسم (متّ٢٨:١). ولا يذكر لوقا عدد النساء اللواتي ذَهبنَ إلى القبر، ولكنَّه يذكر أسماء ثلاث نساءٍ وكذلك "الْبَاقِيَاتُ مَعَهُنَّ" (لو٢٤:١٠). إذًا، ما الذي يحدث هنا؟ هل يناقض متّى ولوقا بعضهما بعضًا؟ كلا، إذا فكَّرتَ في

الأمر قليلًا، تجد عدة احتمالات. ربما يُقدِّم لوقا صورةً شاملةً أكثر من متّى حول عدد النساء اللواتي ذهبنَ إلى القبر، بينما يسمّي متّى اثنتين بالتحديد من بين مجموعةٍ أكبر. أو ربما لم تذهب سوى اثنتين فعلًا إلى القبر، ولكن لـمّا رجعتا أخبرتا الأُخريات، ومن ثم روت المجموعةُ كلُّها القصةَ للتلاميذ. في كلتا الحالتين، يمكننا الوصول إلى خلاصةٍ: بإمكاننا تكرار العديد من الحلول المنطقية للتناقضات الظاهرية، ويجب ألَّا نتسرع في إصدار حُكم "التناقض!"

الأبعَد من ذلك، ومن الناحية التاريخية، إنّ حقيقة عدم تصحيح الاختلافات والتناقضات الظاهرية في الروايات، وتدوينها كما هي لهو دليلٌ على مصداقيَّتها. كما يقول أحد العلماء،

> تُظهر القصص... تحديدًا أنّ التوتر السطحي الذي نربطه، ليس مع حكاياتٍ رواها بإبداعٍ أناسٌ توّاقون إلى الحفاظ على الخيال ومن ثمَّ حريصون على جعل كل شيء يبدو صحيحًا، وإنَّما مع رواياتٍ متسرِّعةٍ ومحيّرةٍ تصدر عمَّن شاهدوا بأعينهم بعض الأمور التي أدهشتهم ولم يفهموها تمامًا بعد.[٢٩]

في النهاية، من المنطقي جدًّا التوصُّل إلى استنتاج أنّ الوثائقَ الكتابيَّة ليست متناقضةً، أو مشكوكًا فيها، أو تعصفُ بها الأخطاء كما يفترض مَن

---

٢٩) ن، ت، رايت، قيامة ابن الله، المجلد الثالث من أصول المسيحية وسؤال الله (مينيابوليس: فورتريس، ٢٠٠٣)، ٦١٢.

N. T. Wright, The Resurrection of the Son of God, vol. 3 of Christian Origins and the Question of God (Minneapolis: Fortress, 2003), 612

ليست لديهم معلوماتٌ كافيةٌ عنها. وحتّى في تفاصيل بعض القصص المحدّدة التي لا تنتظم مع بعضها مباشرةً، ذلك الدليل بالكاد يُجبرنا على الاستسلام وإعلان عدم حدوث شيء. في الحقيقة، إنها تضفي على روايات حياة يسوع نوع الشخصية التي نتوقَّع وجودها في حال شهد عدّة شهود عيان حدوث أحداثٍ استثنائية، لا لكي يسردوا قصّةً خياليَّةً، ولا بهدف الخداع أو ابتكار أكذوبة، وإنَّما ببساطةٍ ليقصّوا علينا ما اعتقدوا أنَّه حدث فعلًا.

لحظةٌ كبرى

حسنًا، هذه لحظةٌ مهمةٌ. لذا خذ نَفَسًا عميقًا لنعود ثانيةً! عند هذه النقطة من الجدال، يمكننا التوصّل إلى استنتاجٍ مهم جدًّا. يمكننا القول وبكل ثقة إنّ...

الكتابَ المقدَّس موثوقٌ به تاريخيًّا

هل تذكر كيف وصلنا إلى هنا؟ انتقلنا من أنفسنا بوصفنا قرّاء وعدنا بالزمن إلى الأحداث المسجَّلة، فقرّرنا أنَّه يمكننا الوثوق بـ :

١. بأنَّ ترجماتنا للمخطوطاتِ الكتابيَّة موثوقةٌ.
٢. بأنَّ مخطوطاتنا الكتابيَّة تعكسُ بدقّةٍ ما كُتِب في المخطوطات الأصلية.
٣. بأنَّنا نبحث في المستندات الصحيحة والأفضل للحصول على المعلومات.

٤. بأنَّه لم يكتب كُتَّاب الكتاب المقدَّس قصّةً خياليَّةً، ولم يخدعونا، ولم يكونوا هم أنفسُهم مخدوعين أو متوهّمين، ولكنَّهم كانوا يكتبون لإخبارنا ما آمنوا بأنه حدثَ حقًّا.

إذا كانت هذه التصريحات الأربعة استنتاجاتٍ منطقيةً، في هذه الحالة يمكننا الوثوق بالكتاب المقدَّس ليخبرنا ما آمنَ الكُتَّابُ بحدوثه حقًّا.

وهذا يتركنا مع سؤالٍ أخير: هل يمكننا الوثوق بأنّ ما اعتقَدَ الكُتَّاب حدوثه فعلًا، هو ما قد حدَثَ حقًّا؟

الفصل ٦

إذًا هل ذاك هو ما حَدَث؟

على الأرجح لستُ بحاجةٍ لأن أُقنعكَ بأنّ الناس أحيانًا يمكن أن يكونوا متيقنين بشدَّة من أمرٍ ما، ولكن في الوقت نفسه يمكن أن يكون الأمرُ خاطئًا تمامًا. لا يمكنني إخبارك بعدد المرات في حياتي التي كنت فيها متيقِّنًا بأنني شهدتُ حدوث أمرٍ ما، لأكتشفَ لاحقًا أنّ ما اعتقدتُ أنني رأيتُه لم يحدث على الإطلاق.

هذه هي القضية النهائية التي يجب أن نواجهها ونحن نبحث في مصداقية الكتاب المقدَّس. هل من المُحتمل أنّ يكون كُتَّاب الكتاب المقدَّس قد أرادوا إخبارنا بما حدث حقًّا، بحيث هم أنفسُهم صدقوا أنّ الأمور التي سردوها حدثت فعلًا، ولكنَّهم كانوا مخطئين حيالها؟ لا أقصد أنهم كانوا مخدوعين أو حاولوا ابتكارَ خدعةٍ أو كتابةَ قصَّةٍ خياليَّةٍ ولكن- تمامًا كما نختبر جميعًا من آنٍ إلى آخر- كان الأمرُ خطأً تمامًا؟ لصياغة السؤال بصورةٍ أدقّ، هل يمكننا التيقّن بطريقةٍ أو بأخرى من أنّ كُتَّاب الكتاب المقدَّس كانوا فعليًّا محقّين بما دوّنوه- أي، الأمور التي اعتقدوا أنها حدثت وما قالوا إنَّه حَدَثَ، قد حَدَثَ حقًّا؟[٣٠]

٣٠) في ما يتعلق بهذا الفصل، اعتمدت على كريغ. ل. بلومبرغ، أما يزال بإمكاننا الإيمان بالكتاب المقدَّس؟ (غراند رابيدز، م آي: براوز، ٢٠١٤)؛ وأيضًا ن. ت. رايت (N. T. Wright) قيامة ابن الله، المجلد. ٣ من سلسلة أصول المسيحية وسؤال الله (مينيابوليس، فورتريس، ٢٠٠٣).

حسنًا، كلا، ما مِن طريقةٍ لمعرفة ما لو إذا ما نتحدث عنه هو يقينٌ رياضيٌّ حتمًا. ولكن يجب أن نتذكر أننا لن نتمكن من الوصول إلى اليقين الرياضي عندما يتعلَّق الأمرُ بالأحداث التاريخية. فبينك وبين كلّ حدثٍ في التاريخ لم تشهده مباشرةً، هناك فجوةٌ لا يمكن لأيّ قَدرٍ من المنطق، أو التفكير، أو المعادلة الفعّالة، أو حتّى لمجموعةٍ من الأدلَّة أن تملأها تمامًا. ستبقى هناك دائمًا احتمالية- مهما كانت ضآلتها ولكنها موجودة- أن نكون مخطئين بشأن كلّ شيء. أشار أحدهم ذات مرة إلى أنّ فجوة اليقين تشبه "خندقًا واسعًا وقبيحًا"[٣١] والعدد القليل من الناس الذين يحدّقون داخل هذا الخندق، استسلموا معلنين أنه ينبغي ألاّ نثق بأيّ ادّعاء تاريخيٍ. ولكن هذا الموقف المتطرّف سيلقي بنا في عَدَميَّةٍ تاريخيةٍ مظلمةٍ، وليس بيننا من يريد أن يحيا بتلك الطريقة- أو حتّى لديه القدرة على القيام بذلك باستمرار. كلا، فنحن جميعًا نعلَم أننا حتّى وإن لم نتمكن من التوصّل إلى يقينٍ رياضي بخصوص الأحداث التاريخية، فإنَّه يمكننا فعليًّا التوصّل إلى يقينٍ تاريخي بشأنها- درجة عالية من الثقة لنقول "نعم، أنا متأكد تمامًا من حدوث ذلك"، ثم العيش والاستناد والتصرّف وفقًا لتلك الأحداث.

كما أنّ التاريخ لا يتاجر بالثوابت الرياضية، وهو في الحقيقة لا يبحث عن ثوابت. لكنَّه يبحث عن الاحتمالات التي تُترجَم في النهاية إلى يقينٍ

---

٣١) جوتولد إفرايم ليسينج، في إثبات الروح والقوة (On the Proof of the Spirit and of Power)، في سلسلة كتاباتٌ لاهوتيةٌ وفلسفيّةٌ.

Gotthold Ephraim Lessing, "On the Proof of the Spirit and of Power," in Philosophical and Theological Writings, ed. H. B. Nisbet, Cambridge Texts in the History of Philosophy (Cambridge: Cambridge University Press, 2005), 87

بشأن حدوث أمرٍ ما. لذلك فإنَّه لأيّ حدثٍ معيَّنٍ، يتساءلُ التاريخُ أولًا بشأن المصدر ومدى موثوقيَّة المرجع الذي دوَّن ذلك الحدث، مستخدمًا أنواع الأسئلة التي طرحناها حول الكتاب المقدَّس. وما إن يجري الإقرار بمصداقية المصدر، يطرح السؤال: "حسنًا، هل من المنطقي أن نفكِّر في أنَّ ما ذُكر في هذا المرجع حَدَثَ فعليًّا في التاريخ؟" تكون الإجابة عادةً عن هذا السؤال بسرعة: "نعم، إنَّه أمرٌ معقول". إذا كُتب في مرجعٍ موثوقٍ بأنّ كذا وكذا جيشٌ عَبَرَ كذا وكذا نهرًا، فإن لم يكن هناك في الأصل ما يدعو لعدم تصديق ذلك العبور؛ وإن لم تكن هناك أدلّةٌ أخرى تشكِّك في عبور ذلك الجيش للنهر، عندها نقول عادةً "نعم، إنّ جيشًا قد عَبَرَ النهر حقًّا". هذا ليس يقينًا تاريخيًّا، بل ثقةٌ تاريخيَّةٌ قوية.

إشكالية المعجزات

تظهر المشكلة عندما يتعلَّق الأمرُ بالكتاب المقدَّس. إنه يروي قصص جيوشٍ عبَرَت الأنهار، ولكن فقط بعد أنّ شقّ اللهُ البحرَ نصفين، فتمكّن الجيش من السير على اليابسة! وكذلك يروي قصَّة رجُلٍ يحوّل الماءَ إلى خمرٍ في لحظةٍ، ويمشي على سطح البحر، ويشفي أناسًا بكلمةٍ، بل يقوم من الموت بعد ثلاثة أيام من مقتَله. ما الذي يقدِّمه مع كل هذا؟ فلنكن صادقين. عندما يبدأ المرجعُ التاريخي- حتّى الذي أقررنا بمصداقيته- بذكر أمورٍ كهذه، لا يمكننا استقبال تلك التقارير ببرودة الأعصاب نفسها التي نبديها تجاه تقرير يقول إنّ أيّ جيشٍ عبر النهر. فنحن نميل إلى استقبالها بموقف استهجان "لا يمكن أن تكون جدّيًّا في الأمر". لماذا نتجاوب مع الأمر بهذه الطريقة؟ حسنًا، ربما هناك عدد من الأمور التي تؤثر في تشكّكنا الطبيعي

حول قصص المعجزات، ولكن باعتقادي أكثرها وضوحًا وأكثرها أهمية أيضًا هو أنَّ الناس الذين يشكّكون في المعجزات هم الذين لم يختبروها. وهذا ليس بالأمر الغريب؛ فجميعنا نجد أنه من الصعب أن نصدّق أمورًا تكمن خارج نطاق خبرتنا.

إليك هنا أحد الأمثلة الـمُستخدمة كثيرًا: تصوَّر رجلًا عاش معظم حياته- منذ وقت طويل، قبل وجود الكهرباء أو أيّ من التكنولوجيا الحديثة- على جزيرةٍ استوائيةٍ بالقرب من خطّ الاستواء. وفي أحد الأيام، ظهرت سفينةٌ وأخبره البحّارةُ أنهم من بلدٍ بعيدٍ في الشمال. ثم بدأوا بالحديث عن تلك المادة الرائعة التي تُسمى الجليد، والتي هي كالماء المتحوّل إلى صخرة عندما تشتدّ برودته. وهنا صديقنا الذي يعيش على جزيرة استوائية لم يختبر الجليد إطلاقًا، (وعلى الأرجح) ولا حتّى هذا النوع من البرودة اللازمة لتشكيل الجليد. لذا، سيمرّ بوقتٍ عصيبٍ جدًّا لكي يصدّق أنّ "تحوُّل هذه المياه إلى صخرة باردة جدًّا" هو أمرٌ حَدَثَ فعلًا. كما قد يصرّح أنَّه أمرٌ مستحيلٌ، وأنّ البحّارةَ إمّا مغفّلون وإمَّا كاذبون. فالجليد يكمن خارج نطاق تجربته تمامًا، وهو لا يؤمن به.

ولكنَّ الجليدَ موجودٌ.

عندما يتعلَّق الأمرُ بالمعجزات، أعتقد أنّ الكثير منّا يصبحون كرجُل الجزيرة الاستوائية هذا في تعامله مع الجليد. فلم يسبق لنا أن عاينّا شخصًا يمشي على المياه أو يحوَّل الماءَ إلى خمرٍ أو قامَ من الموت، وهكذا نبدأ بفرضية أنّ هذه الأمور لم تحدث- أو، لا يمكن أن تحدث. ولكن عدم اختبارنا لتلك الأمور لا ينفي وجودها. تمامًا كما هو من السخف أن

ننفي وجود الجليد لأنّ رجُل الجزيرة لم يرهُ. في الحقيقة، لشخصٍ اختَبرَ المعجزات- وهناك ملايين من الناس في العالم يقولون إنهم اختبروها- يبدو التساؤل في إذا كانت المعجزات معقولة (أقل بكثير من ممكنة) سؤالًا سخيفًا جدًّا. إذ يقولون " المعجزاتُ معقولةٌ، لقد رأيتُ معجزاتٍ" يمكنك حتمًا أن تكون مثل رجُل الجزيرة وتُصرّ على أنّ كل هؤلاء الناس سذَّج أو كاذبون، ولكنَّهم سيهزّون رؤوسهم ويبتسمون قائلين: "صديقي، أتمنى في يومٍ من الأيام أن تستمتع بتجربة المثلّجات".

هل ترى؟ كل هذا لكي نقول إنَّه لا يمكنك أن تُعلن ببساطة استحالة المعجزات- ومن ثمَّ الكتاب المقدَّس- بناءً على قوة تجربتك الشخصية أو انعدامها. فبعض الناس لديهم تجارب مختلفة عن تجاربك، والتصريح بعدم صحّة أي تجربة تخالف تجربتك سيكون قمَّة التصلُّف والكبرياء. لذلك، إذا كنتَ ستعلن أنّ المعجزات مقنعةٌ في حدّ ذاتها، ستحتاج إلى سبب للقيام بذلك.

حججٌ ضدّ المعجزات- الاعتراض العلمي

على مرّ القرون، عرضَ الناسُ حجّتين رئيسيتين لإعلان المعجزات- بما فيها تلك التي ذكرها كُتَّاب الكتاب المقدَّس- لتكون غير قابلة للتصديق أو أنها مستحيلة. فلنتوقف لحظةً لنفكّر في كلٍّ منها.

أولًا، قدَّم البعض اعتراضًا علميًّا على المعجزات من أيّ نوع. يقول ذلك الاعتراض في الأساس إنّ التقدُّم في العِلم ولا سيَّما في القرنين الماضيين قد أثبتَ استحالة حدوث المعجزات. حيث يقول إنّ الناسَ صدّقوا المعجزات لأنهم لم يفهموا كيف يعمل العالم، لذا كانوا يميلون إلى الإيمان بما هو

خارق للطبيعة. كانت لديهم ثغراتٌ في فهمهم لعلم الأحياء والفَلك والكيمياء وعلم البيئة، وقد ملأوا هذه الثغرات بمناشدة المعجزات. ولكن اليوم، لأنّ العِلم ملأ الكثير من الثغرات التي كانت المعجزات تسدّها، فيمكننا القول إنّ المعجزات غير ضرورية، لذا هي لا تحدث فعليًّا.

ولكن هل الأمرُ بهذه البساطة؟ أعني، حتّى الافتراض الأول- الذي يقول إنّ الناس يؤمنون بالمعجزات، فقط لأنهم لم يفهموا كيف يعمل العالم كما نفهم نحن- لا ينطبق جيِّدًا على معظم المعجزات المذكورة في الكتاب المقدَّس. ففي النهاية، حتّى أقدم الشعوب كانت لديهم معرفة جيّدة بأنَّ تشكُّل الجنينِ يتطلَّبُ وجود شخصين، وأنك لو حاولت المشي على المياه ستغرق، وأنّ الموتى لا يقومون مرة أخرى! ولكن كُتّاب الكتاب المقدَّس قالوا إنّ "هذه الأمور حدثت، وقد شهدناها". وفوق ذلك، ومع كل المعرفة التي اكتشفناها حديثًا، ما نزال غير قادرين على تفسير الأمور التي شهدناها بطريقةٍ أفضل من تفسيرهم لها. بمعنى، ليس الأمرُ كأنَّنا نستطيع أن نقول لكُتّاب الكتاب المقدَّس "لقد استخففتُم بعقول الناس.ألا تُدركون أنها في الواقع لم تكن معجزةً إطلاقًا بأن يمشي رجلٌ على الماء؟ إن كنتم تعرفون عن قوانين الفيزياء الكمّية والنظرية النسبيَّة، كما نعلم نحن الآن، فستفهمون أنّ المشي على الماء وظاهرةٌ طبيعيةٌ تمامًا وليس هناك ما يدعو للحماسة. ولا حتّى ولادة طفل من عذراء، أو رجلٌ هدَّأ العاصفة أو شفى مرضى بكلمة، أو رجُلٌ قام من بين الأموات. يمكن أن يفسّر العلم ذلك أيضًا". كلا، الحقيقة أنّ العِلم لم يتمكن من جعل هذه الأحداث أقل إدهاشًا لنا مما كانت عليه بالنسبة لهم.

هل ترى وجهة نظري؟ مشكلة القول إنّ العِلم تقدَّم للدرجة التي تمكّننا الآن من تفسير المعجزات بصورةٍ طبيعيةٍ- حتّى تلك الموجودة في الكتاب المقدَّس- هي أنّ العِلم لم يقم بذلك، لم يفسِّر المعجزات المسجَّلة في الكتاب المقدَّس فعليًّا. ولا يمكنه القيام بذلك. فلماذا إذًا ينبغي أن نصدّق ذلك الادّعاء المنتشر على نطاقٍ واسعٍ والقائل إنّ العِلم أثبتَ بطريقةٍ ما بأنّها أمورٌ لا يمكن حدوثها، ولا بأيّة طريقة؟

الجواب هو أنه لا ينبغي لنا تصديقه. بصريح العبارة، هذا الاعتراض تجاوز إطاره. فالقضية ليست أنّ العِلم أثبتَ أنّ ما هو خارقٌ للطبيعة لا يحدث ولا يمكن أن يحدث. فهناك كثيرٌ من الأمور التي تحدث في الكون- وفي التجربة البشرية- لا يمكن أن يفسِّرها العِلم. لا تسيئوا فهمي. أنا لا أقول إنّ كلَّ ما لا يستطيع العِلم تفسيره هو خارقٌ للطبيعة. كلا، فالعِلم سيتقدَّم، وسيجيب في المستقبل عن كثيرٍ من الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عنها الآن. ولكن لا يستطيع أيّ عالِمٍ منسجمٍ حقًّا مع وعد العِلم وحدوده- ولا سيما مع أحدث التطورات في مجالات الفيزياء الكمّية، وعلم الفَلك، وحتّى علم الأحياء- أن يقول عباراتٍ مثل "إنَّ الكون قابلٌ للتفسير كليًّا الآن ودائمًا". على الأرجح، علماء من هذا النوع سيقولون عباراتٍ أقرب إلى هذه "هل تعلَم! اكتشفنا أكثر، كلما أدركنا أننا لا نفهم كثيرًا، وفي النهاية قد يكون الأمر خارج نطاق إدراكنا".

إلى جانب ذلك، في النهاية ينحدر السؤال المشكِّك في إمكانية حدوث المعجزات إلى التساؤل حول وجود الله، أليس هذا صحيح؟ فإذا كان اللهُ موجودًا، إذًا المعجزات ممكنةٌ، ويتوقف الجدل. ولكن الجميع يتّفق على افتقار العِلم التّام إلى القدرة على اختبار وجود الله. لن يستطيع إثبات

وجود الله إطلاقًا، لذا لن يُثبت أنّ المعجزات مستحيلة. في ضوء ذلك، يبدو أنّ الإعلان الوَقح والمتغطرس الذي سمعته من طلابٍ جُدد في مختلف التخصُّصات العلمية والقائل إنَّ "العِلمَ أثبتَ أنّ الأمورَ الخارقةَ للطبيعة لا يمكن أن تحدث فعليًّا" قد أصبح إعلانًا واهيًا وبطريقةٍ مُحرِجة.

حججٌ ضدّ المعجزات- الاعتراض الفلسفي

الاعتراض الثاني المُـقدَّم ضدّ إمكانية منطقية المعجزات هو اعتراضٌ فلسفي. يقول هذا الاعتراض إنه حتّى وإن كانَ العِلمُ غيرَ قادرٍ على إثبات استحالة المعجزات (فلنلاحظ أنَّ هذا تنازلٌ كبير!)، إلا أنَّنا يجب أن نقول إنَّ احتمالية حدوث الأحداث المعجزية في الواقع ضئيلٌ لدرجة التلاشي، لذلك يجب ألاّ نؤمن بوجودها. على سبيل المثال، يجب ألّا نصدِّق أنّ يسوع مشى فعليًّا على الماء. لأنه إذا كان (س) يمثِّل عدد مَن حاولوا السير على الماء وغرقوا (للأمان، فلنضع رقم ١٠ بليون نسمة، كرقم تقريبي لكل من عاش على كوكب الأرض)، عندئذٍ تكون احتمالية سير يسوع فعليًّا على الماء هي واحد من عشرة مليارات. نسبةٌ ضئيلةٌ جدًّا.

ولكن ينتهي هذا الاعتراض بإثبات الطريقة. فلا يمكنك تطبيق مبدأ الاحتمالات هكذا على كلّ شيء لتحدّد إن كان بإمكانك التصديق أم لا. إذا قمت بذلك، سيتحتَّم عليك التشكيك في كلّ ما هو غير عادي أو غير مألوف، فضلًا عمّا هو فريدٌ من نوعه. هناك سبعة مليارات نَسَمة في العالم اليوم، ولكن بقدر ما نعلم، هناك واحد فقط أنهى سباق ١٠٠ متر في ٩,٥٨ ثانية. ومع ذلك، سيكون من السخف والغطرسة أن أقول "هل تدرك أنّ احتمالية أن يركض يوسين بولت ١٠٠ متر في ٩,٥٨ ثانية هي واحد من

سبعة مليارات؟ وسيكون من الغباء أن أصدق ذلك". بالطريقة نفسها، فقط لأنه من المدهش التفكير في أنّ يسوع مشى على الماء، هذا لا يعني أنّ ذلك لم يحدث. ففي النهاية، التلاميذ أنفسهم بُهتوا من ذلك أيضًا، وهذا تحديدًا ما كُتِب في الكتاب المقدَّس.

لذلك نحن هنا الآن. يصيغُ المتشكّكون إصداراتٍ مختلفةً كثيرة من هاتين الحجّتين، ولكن في النهاية لا تعمل أيٌّ منها بصورة أفضل من هاتين الحجّتين لاستبعاد المعجزات أو ما هو خارقٌ للطبيعة من عالم الواقع البشري. لم يقدّم العِلم تفسيرًا للأمور التي يخبرنا كُتّاب الكتاب المقدَّس بأنَّهم رأوها، وبالتأكيد لم يُثبت أنّ هذه الأمور مستحيلة. علاوة على ذلك، من غير المنطقي أن يتمّ تحديد منطقية الأمور بناءً على الاحتمالات. الحقيقة هي، إذا أردتَ الإصرار على أنَّ الأمورَ الخارقة للطبيعة لا تحدث (نهائيًّا)، فإنّك تفعل ذلك- أي تؤكِّد الأمرَ دون دليلٍ أو أيِّ سببٍ وجيه. بعبارةٍ أخرى، ستصدِّق الأمرَ بناءً على أسوأ نوع من الإيمان الأعمى.

هل المعجزاتُ الكتابيَّة قابلةٌ للتصديق؟

إذًا، قال كُتّاب الكتاب المقدَّس إنهم شهدوا حدوث أمورٍ غير عادية، وليس لدينا سببٌ منطقي لنقول إنّ تلك الأمور يستحيل تحقيقها أو حتّى لا يمكن تصديقها. ولكن لا يزال هناك سؤالٌ آخر يبرز هنا. لقد روى عددٌ كبير من الناس قصصًا كثيرةً عن أمورٍ "مُعجزيَّةٍ" تحدث. لقد فعلَ ذلك البابليون والإغريق والرومان. ولا أحد يقول إنَّه علينا تصديق قصص معجزاتهم. إذًا، ما الفَرق من جهة الكتاب المقدَّس؟ ما الذي يجعل الكتاب المقدَّس مختلفًا؟ ما الذي يجعل قصصَه قابلةً للتصديق أكثر من

قصصهم؟ حسنًا، الإجابة هي أنّ طابع كتابات الكتاب المقدَّس تختلف تمامًا عن طابع الكتابات الأخرى القديمة بطريقةٍ تجعلها أكثر قبولًا.

فلأشرح لك ما أعنيه. في قصص المعجزات القديمة الأخرى، كنّا بوضوح لا نتعامل مع روايات شهود عيان عن أحداثٍ تاريخية؛ وهُم لم يدّعوا ذلك. بل كنّا نتعامل إمّا مع (١) أساطير أو خرافات كانت قد ظهرت وتزايدت مرارًا وتكرارًا على مدى قرون- مثل البرنفيلات (حيوان مائي مفصلي يعيش في المياه المالحة متشبّثًا بالصخور) التي تنمو على السفن- وإمَّا (٢) قصص تاريخية أصلها غير موجود، وجرى تنميقُها لاحقًا مع أجزاءٍ مُدهشة خارقة للطبيعة، ولكنَّها ما تزالُ بلا مبرِّرٍ تقريبًا. أقصد بذلك أنّ الأحداث الخارقة للطبيعة في هذه القصص لا تبدو أساسيةً للقصَّة نفسِها بأيّ شكلٍ من الأشكال؛ ويبدو معنى القصة كاملًا ولا يتأثر إطلاقًا بالأجزاء الخارقة للطبيعة، مما يوحي أنّ هذه الأجزاء أُضيفت لاحقًا من أجل التأثير.

النقطة هي أنه في كِلتا الحالتين، يمكن أن ينظر المؤرّخون إلى تلك القصص القديمة ويقولون بكل ثقة إنّ تلك التفاصيل المعجزية ليست تاريخية. فهي إمّا خرافاتٌ وإمَّا أساطيرُ جرى تأليفُها على مرّ الزمن، أو يقولون إنها زخرفةٌ مزيّفةٌ أُضيفت من أجل التأثير. ولكنَّها بالتأكيد ليست رواياتُ شهود عيان لأحداثٍ من دونها لا يكون للقصَّةِ أيُّ معنًى. ولكن هذه هي تحديدًا سمات روايات المعجزة في الكتاب المقدَّس. فهي ليست خرافات ولا أساطير، ولم يجرِ تأليفها وتشكيلها على مرّ العصور. إنها نتيجةٌ لقَول بعض الأشخاص "أنا رأيت هذا، وأنا رأيته من مدةٍ ليست ببعيدة". ليس ذلك فحسب، ولكن المعجزات المسجَّلة في الكتاب المقدَّس أساسيةٌ

للقصص التي حولها. على سبيل المثال، معجزات يسوع، ليست مجرَّد أمورٍ مدهشة حدثت. فعندما تدرسها، تدرك أنّها في جوهرها متَّصلة بالرسالة التي كان يسوع يُعلنها، لهذا كان يسوع يشفي الناس، ولا يقوم بألعاب الخفَّة (مثل سحب أرنبٍ من قبّعة)، بل كان يوضِّح أنّ بإمكانه شفاء الناس من مرض الخطية. لهذا السبب أقام أناسًا من الموت وليس فقط أخفى قطعة النقود المعدنية تحت أكمامه؛ إنه يُظهر أنّ عمله يُخرج الحياة الروحية من الموت الروحي. حتّى سيره على الماء لم يكن مجرد خدعة استقبال؛ لقد أدرك تلاميذه أنها تؤكّد ادّعائه بأنه "أنا هو" العظيم الذي أخضَعَ المحيطات- عالم الفوضى والشرّ القديم. إنَّه هو مَن كُتِب عنه في سفر المزامير "مِنْ غِمَارِ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ، الرَّبُّ فِي الْعُلَى أَقْدَرُ" (مزمور٩٣:٤). إنّ قصص المعجزات في الديانات والثقافات الأخرى لا تشبه هذه المعجزات إطلاقًا.

هل ترى الأمرَ هنا؟ معجزات الكتاب المقدَّس ليست بأيِّ شكلٍ من الأشكال مُضافةً، أو خارجةً عن نطاق القصص التي نجدها فيه؛ بل على العكس تمامًا، إنها جوهريَّةٌ وأساسيَّةٌ للقصَّة، منسوجةٌ كالحمض النووي في معناها الفعلي. بدلًا من الخرافات والأساطير التي تراكمت على مرّ الزمن، هذه رواياتُ شهود عيان من أناسٍ حقيقيين رأوها بأعينهم. وشرحُها يتطلَّب اعتباراتٍ من نوعٍ مختلفٍ تمامًا، إذ تختلف روايات المعجزة الكتابية كليًّا عن الأسطورة اليونانية أو البابلية.

كل هذا يتركنا مع خلاصةٍ مهمَّةٍ بشأن المعجزات المسجَّلة في الكتاب المقدَّس: لا يمكن استبعادها من الحوار كونها مستحيلةً من الناحية المنطقية، كما أنّه يمكن تصديقُها أكثر بكثير من قصص المعجزات الأخرى.

ولكن ما زلتُ أتساءَل ما إذا كان بإمكاننا التعمّق أكثر. هل يمكننا الوصول إلى مستوى من الثقة يمكننا عنده القول إنّ ما قال كُتَّابُ الكتاب المقدَّس إنَّه حدث هو ليس فقط أمرٌ منطقي، بل إنَّ حدوثه محتَمَلٌ تاريخيًا.

نعم، أعتقد أنه يمكننا ذلك.

كلُّ شيءٍ يعتمدُ على القيامة

الآن في هذه المرحلة، لدينا بضعة خياراتٍ حول الطريقة التي يمكننا التقدُّم بها. يمكننا البدء بدراسةٍ مستفيضةٍ عن عشرات المعجزات التي أجراها يسوع في أثناء خدمته ونرى ما يمكننا قوله حيال كلٍّ منها. في الحقيقة، هناك العديد من الكتب التي فعلت ذلك، وكانت استنتاجاتهم في كثيرٍ من الأحيان دقيقةً ومُقنعةً. أو يمكننا الانتقال مباشرةً إلى معجزةٍ واحدةٍ تكون هي نقطة انطلاق الإيمان المسيحي وارتكازه. المعجزة التي ترتكز عليها كلّ بُنية التاريخ والمُعتقد المسيحي، وبالنهاية الممارسة المسيحية أيضًا- في الواقع، هي المعجزة التي يرتكز عليها المُعتقد المسيحي بأنّ الكتاب المقدَّس هو كلمة الله.

هذه المعجزة هي قيامة يسوع.

إليك هنا ما لا يمكنك استيعابه: إذا كانت القيامة قد حدثت، فإنَّ بقية البنية الأساسية للمسيحية تعمل معًا كالساعة- بما فيها سلطان الكتاب المقدَّس، بعهديه الجديد والقديم. في حال لم تحدث القيامة، يمكنك نسيان المسألة بأكملها؛ لأنه إذا كان كتّابُ الكتاب المقدَّس الموثوقون مخطئين بشأن القيامة- الأمر الأكثر أهمية- فسيكون من المُستبعَد أن يكونوا على

حقٍّ في معظم الأمور. فضلًا عن ذلك، لن يكون مهمًّا في حال كانوا محقّين بشأن بقية الأمور أم لا، لأنّ غاية كل شيء- المعجزات، التعليم، الادّعاءات- كانت إثبات هوية يسوع بصفته المسيح، وإذا كان لا يزال ميتًا، في هذه الحالة لن يكون هو المسيح، لذا فبقية القصّة غير مهمة، وهكذا ينتهي الأمر. فالمسيحية بأكملها ترتفع وتنهار بناءً على سؤال ما إذا كان المسيح قام من بين الأموات تاريخيًّا- ليس دينيًّا ولا روحيًّا، بل تاريخيًّا.

يعتقد كُتَّاب الكتاب المقدَّس أنه قام. لم يكونوا مخدوعين، ولم يحاولوا اختلاق كذبة، ولم يكونوا يكتبون أسطورة. فقد أخبروا بما رأوا وسمعوا ولمسوا واختبروا، وقد أرادوا بصدق لقرّائهم أن يصدّقوا أيضًا. كل شيء حسن وجيد، ولكن هل يمكننا الثقة بأننا على حقٍّ بخصوص القيامة؟

نعم، يمكننا ذلك، ولكن كيف؟

لماذا صدَّقوا أنّ يسوع قد قام؟

فلدعونا نبدأ بطرح سؤالٍ بديهي. في رواياتهم الخاصة، ما الذي جعلَ كُتَّابَ الكتاب المقدَّس- والمسيحيين الأوائل بصورةٍ أعمّ- يصدّقون أنّ يسوع قامَ من بين الأموات في المقام الأول؟ وفقًا لشهادتهم الخاصة، انبثق هذا الـمُعتقد من أمرين: (١) اكتشافهم في صباح يوم الأحد أنّ القبر الذي وضعوا فيه جسد يسوع بعد موته كان فارغًا، و(٢) اختبارُهم ظهور يسوع لهم عدّة مرات على نحوٍ مادّي وملموس بعد موته.

الآن من المهم جدًّا أن ندرك بعض الأمور عن هذه الاختبارات. أولًا، كان الكُتَّابُ حريصين على نفي أنّ ما رأوه عندما ظهر لهم يسوع

كان أمرًا غيرَ مادِّيٍ (أي، دون جسد مادّي) كشبحٍ أو روحٍ أو شيءٍ آخر. لذلك حرصَ لوقا على الإشارة إلى أنّه عندما ظهر يسوع للتلاميذ أوَّل مرَّة، اعتقدوا في الواقع أنَّه شبحٌ إلى أن دعاهم يسوع كي يلمسوه- قال لهم "إِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي". ومن ثم أَكَل قطعةً من السمك المشوي فقط لكي يثبت لهم ذلك (لوقا٢٤:٣٩، ٤٢-٤٣). (من المثير للاهتمام في الرواية ذِكر أنّ السمكَ كان مشويًّا، أليس كذلك؟ ما علاقة حقيقة أنّ السمك كان مشويًّا، وليس مخبوزًا أو محمّصًا أو مقليًا، بالأمر؟ لا شيء. إنها إحدى التفاصيل التي لا يجري إدراجها في الأساطير عادةً، لذا توحي بمهارةٍ إلى أنها شهادة شاهد عيان كان هناك بالحقيقة).

ليس ذلك فحسب، ولكن جاهد التلاميذُ ليستوضحوا أنّ هذا الشخص الذي ظهرَ لهم، كان هو نفسه يسوع الذي مات على الصليب، وليس شخصًا آخر. "هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي..." (يوحنا٢٠:٢٧)، هذا ما قاله يسوع لتوما. لم يكن شبحًا، لم يكن شخصًا آخر. أصرَّ الرُّسُل على أنّ يسوع الذي رأوه كان هو ذاته يسوع الذي صُلِب.

من المهم أيضًا أن نفهم أنّه ليس القبرُ الفارغ ولا الظهورات وحدها مَن خلَقت هذا النوع من اليقين بخصوص القيامة التي عرَضَها الرُّسُل في النهاية. فإذا كان كلُّ ما لديهم هو قبرٌ فارغٌ، كانوا سيتحيّرون حتمًا. لكن هناك شكٌّ في أنَّهم قد يستنتجون بأنّ يسوعَ عادَ إلى الحياة، فهناك كثيرٌ من التفسيرات البديلة لذلك: لصوصُ القبور، مزيد من الإذلال من قِبل الرومان، خطأٌ في تحديد مكان القبر، أو أمرٌ ما!

في الوقت نفسه، مجرَّد رؤية يسوع لم تحسم الأمرَ أيضًا. مرةً أخرى، كانت هناك تفسيراتٌ أخرى كثيرة: شبحٌ، أو طيفٌ، أو دجّالٌ، أو أمرٌ آخر! طالما يمكن أن توجد جثّةٌ متحلِّلةٌ في القبر، فحتمًا لا يمكن أن يدعو أيّ أحدٍ هذا الحدثَ قيامةً.

ولكن، وضعُ الأمرين معًا- القبرُ الفارغ وظهوراتُ يسوع- كان كافيًا لخلق انفجارٍ نووي في واقع التلاميذ. كان القبرُ فارغًا لأنّ يسوعَ حيٌّ. قال الملاك "لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ" (متى٦:٢٨). تلك كانت شهادتهم؛ هذا هو السبب الذي جعلهم يصدّقون، وهذا هو السبب الذي جعلهم في النهاية يموتون من أجل الإيمان بأنّ يسوعَ قامَ حقًّا من القبر. يمكنك أن تقول الآن إنك لا تصدِّقهم؛ ويمكن أن تقول أيًّا كان ما حدث في صباح ذلك الأحد، ولكنَّه ليس كما قيل. ولكن إن كنت ستفعل ذلك، فيجب أن تعرض بعض البدائل. إن لم يكن ما حدَثَ هو القيامة، فما الذي حدَثَ إذًا؟

ليس هناك تفسيرٌ آخر

الأمر الوحيد الذي لا يمكنك القيام به (بوجود الأمانة الفكرية) أن تتظاهر بأنّ شيئًا لم يحدث. فمن الواضح حدوثُ أمرٍ ما، لأنه خلَقَ صدمةً في أنحاء العالم وعَبْرَ التاريخ مدة ألف سنة. فحتّى في حياة أولئك التلاميذ، أيًّا كان ما حدث هو الذي دفعهم لإعادة ترتيب بنية منظورهم العالمي. بدأوا يعتقدون أنّ هذا المصلوب يسوع كان هو رجاءَ اليهود الذي انتظروه طويلًا، المسيَّا المُنتظَر، كان هو ابن الله، حَمَلَ الله الذي يرفع الخطية، باكورةَ الخليقة الجديدة التي ستبدأ في شعبه الذي افتداه، ملكَ الملوك الذي سيخلِّص يومًا ما شعبَه إلى الأبد، وسيعيد تشكيل العالم في ولادةٍ جديدةٍ انعكاسًا وتدفقًا من

حياة القيامة. لأنهم آمنوا بتلك الأمور، أعادوا ترتيب حياتهم كي يتمكّنوا من إعلان معتقداتهم- بالتّخلي عن أعمالهم وترك منازلهم، وأخيرًا رفض التراجع عن معتقداتهم حتّى عندما قُتِلوا الواحد تلو الآخر (كما كُتِب في التقليد) سواء بقطع الرأس، أم بالصّلب، أم بالقتل بالحَربة، أم الجَلْد أم الرجم.

هناك أمرٌ حدَثَ تسبَّب في كلّ هذا.

إمّا أن يكون يسوع قد قام من الأموات حقًّا، وإمَّا كان هناك أمرٌ آخر قويٌّ بما يكفي لجعل التلاميذ يؤمنون بتلك المعتقدات معًا في وقتٍ واحد، ويعيدوا ترتيب حياتهم ليُذيعوها، حتّى في مواجهة التعذيب البشع الذي انتهى باستشهادهم. إذًا، السؤال الأخير هو: هل هناك مَن اقترَحَ أيَّ بديلٍ آخر له القوة نفسها ليفسّر كل هذا؟ بالتأكيد، فقد حاول عددٌ كبيرٌ من الناس عدّة محاولات.

ربما ذهبت النساءُ إلى القبر الخطأ، وتحمَّس الجميعُ على خطأ. ربما. ولكن بعد ذلك، عندما انتشرَ عبر المدينة كالنار في الهشيم الاعتقاد أنَّ يسوع قام من بين الأموات، لماذا لم تُخرِج السلطات الجُثَّةَ من القبر الصحيح؟ فهم بالتأكيد عرفوا بمكانه، فالحرَّاس الرومانيون وضعوا ختمًا على القبر. وإلى جانب ذلك، كما قلنا سابقًا، التقرير المجرَّد أنّ القبر كان فارغًا ما كان ليخلقَ معتقدًا أنّ يسوعَ قام من بين الأموات. ظهر يسوع أيضًا للتلاميذ، وهو يحييهم! هذا ما أخبرونا به (بصورةٍ موثوقة). إن كنتَ ترى أنَّهم كانوا مخطئين. حسنٌ هذا، ولكن ما الذي حدَثَ إذًا؟

حسنًا، ربما لم يمت يسوعُ فعلًا، وإنَّما كان على حافة الموت وهرب أخيرًا من القبر، ثم عادَ إلى حيث كان التلاميذ يختبئون. ربما...

في الحقيقة، كلا. هذا غير مُحتَمَل. إنَّه كلامٌ سخيف! هل نعتقد حقًّا أنّ يسوعَ- وقد تمكّن بطريقةٍ ما من النجاة مِن صَلبه- بعد أن ترنّحَ مجروحًا وصُلِبَ وطُعِنَ بالرمح ودخل إلى تلاميذه وهو يعاني الجفاف والجوع، يُقنعهم رغم خوفهم وشكوكهم أنَّه هو ربُّ الحياة وقاهرُ الموت؟ أقول لك، هذا الكلامُ مُستَبعدٌ. في تلك المرحلة، لن يخرجوا ليعظوا، بل سيذهبون لكي يُحضِروا طبيبًا له!

حسنًا، حسنًا، ربما سرقَ التلاميذُ الجسدَ، ثم ادّعوا أنّ يسوعَ قامَ من بين الأموات. ربما كانت تلك أنجح خدعةٍ في تاريخ العالم. ولكن لا، كما قلنا من قبل، ليس هذا من سمات الخداع، وعلاوةً على ذلك، لا أحد يموتُ من أجل مجرَّد خدعة. في حال كنتَ تحاول خداع العالم بشخصٍ ما، وعندما تنتهي الخدعة ويكون الفأس على وشك السقوط- أو عندما تقترب المسامير منك لاختراق معصميك، أو كانوا على وشك إسقاطك في زيتٍ مغلي أو الإلقاء بك من على قمة الهيكل- فلن تستمر في قول "إنّي أقول لكم إنَّ الرجُلَ حيٌّ". الطريقة الوحيدة التي تجعلك تتمسك بهذه القصة في ظلّ تلك الظروف هي أنك مقتنعٌ حقًّا بأنّ ما تقوله حقيقي.

حسنًا، ربما كان التلاميذُ ضحايا هذَيانٍ جماعي. كلا، لقد ناقشنا ذلك الاقتراح مسبقًا بشيءٍ من التفصيل. ونظرًا إلى عدد الناس المختلفين الذين صرَّحوا بأنهم رأوا يسوع، في مراتٍ مختلفة وعلى مرِّ عدّة أسابيع، تبدو فكرة الهذَيان الجماعي المستمر والمُعدي فكرةً غير مرجَّحَة إطلاقًا. فكرة "الهذيان الجماعي" سخيفةٌ في حدّ ذاتها.

ربما إذًا كانوا غارقين في حلمٍ أو رؤيةٍ أو تجربةٍ روحيةٍ غامضة أو حتّى مشاعرَ سماوية عميقة من الغفران والحياة الروحية الجديدة. ربما هذا هو ما قصدوه باستخدام مصطلح القيامة، وليس هذه الفكرة الحرفية الجسيمة التي تقول إنّ يسوعَ قامَ من القبر فعليًّا. بعبارةٍ أخرى، ربما تكون جميعُ القصص في العهد الجديدة عبارةً عن استعارةٍ مجازيةٍ كبيرةٍ لحقائق روحية، ليس المقصود أن تُؤخذ بصورةٍ حرفيةٍ ومادّية.

كلا، الحقيقة هي أولًا وقبلَ كلِّ شيء، أنّ الروايات التي تروي قصة القيامة لا تتَّسم بصفات الاستعارات المجازية الروحية، بل فيها سمةُ شهادة شاهد العيان على أحداثٍ حدثت فعليًّا في التاريخ، وسيتطلب الأمرُ قدرًا كبيرًا من الضبابية لتتجاهله العين. كذلك، في القرن الأول لم يكن العالم اليهودي غريبًا عن الأحلام أو الرؤى أو التجارب الدينية التي تبثّ النشوة، ولم يكن غريبًا أيضًا عن قدوم المسيّا المُنتظر الذي ستقتُله السلطات. بالنظر إلى تلك الخلفية، لا يمكن التفكير في أنّ مجرَّد حلمٍ، أو رؤيةٍ، أو تجربةٍ صوفية، فضلًا عن المشاعر- حتّى وإن كانت مرتبطة "بالمسيّا" الذي أُعدِمَ- يمكن أن تكون دافعًا مبرِّرًا لهذا النوع من الاعتقاد المستمر والمغيِّر للمنظور العالمي حول قيامة يسوع، والذي ميَّز المسيحيين الأوائل وقادهم إلى الاستشهاد دون تراجع. ولكن الأهم من ذلك كله، لم يستخدم أيُّ يهوديٍ في القرن الأول كلمة قيامة لوصف حلمٍ، أو رؤيةٍ، أو تجربةٍ صوفية، علاوة على "الشعور" بشيءٍ أو قوةٍ ما. ذلك لأنّ القيامة تحمل معنًى محدَّدًا جدًّا؛ فالمقصود بها عودة الجسد إلى الحياة حرفيًّا ومادّيًّا. وبكل تأكيد لم تُستخدم للإشارة إلى أيِّ أمرٍ أقلَّ من ذلك. ومع ذلك تلك هي الكلمة تحديدًا التي استخدمها المسيحيون الأوائل لوصفِ ما حدَثَ ليسوع.

حسنًا، ربما كانوا جميعًا ضحايا لحالةٍ متشدِّدة من التفكير الحالم. ربما أرادوا وبشدّة ألَّا يموت، فخدعوا أنفسَهم بالاعتقاد أنه قام. مرةً أخرى، كلا. حتّى وإن كان التلاميذ يبحثون عن ملاذٍ يريحهم بعد موت يسوع، لن يتوصَّلوا إلى فكرة القيامة. فعلى الأرجح كانوا سيريحون أنفسهم بالادّعاء بأنه حيٌّ "روحيًّا" أو شيئًا من هذا القبيل. ولكن من غير الوارد إطلاقًا أن يفكّروا في أنهم سيسلّطون الضوء على فكرة إعادة تشكيل النظرة الكونيَّة بأنّ يسوع قام وتمجّد قبل نهاية العالم. الطريقة الوحيدة التي ستوصلهم إلى تلك النتيجة هي أنّ الأمور التي رأوها واختبروها تركتهم دون أيّ اختيار آخر. هل ترى المغزى من ذلك؟ لم يدّعِ المسيحيون الأوائل أنّ يسوع قام نتيجةً لأُمنيةٍ لديهم. ولكنَّهم ادّعوا ذلك لأنه لم يكن لديهم أيُّ تفسيرٍ آخر لِما رأوه. لم يكن مجرَّد تفكيرٍ حالِمٍ قادهم إلى ذلك الاستنتاج، وإنَّما أعينُهم التي رأت.

وعلاوةً على ذلك، إنّ الروايات التي بين أيدينا لا تُظهر أنَّ التلاميذَ كانوا مستعدين فكريًّا للاعتقاد أنّ يسوع قام من بين الأموات. على العكس من ذلك، فقبل وقتٍ طويل اعتقدوا أنَّهم كفروا على نحوٍ كبير، لدرجةٍ كان على المسيح المُقام أن يوبِّخهم على ذلك. كلا، لم يكن التلاميذُ مهيَّئين نفسيًّا ولا دينيًّا ولا ثقافيًّا لقيامة شخصٍ من بين الأموات قبل نهاية العالم. فحدوث أمرٍ من هذا القبيل تفجَّر في وجدانهم فعليًّا، وترَكهم يصارعون لكي يوضّحوا المغزى من كل ذلك.

إذًا، كما قلتُ سابقًا، هناك أمرٌ ما حدَثَ في صباح ذلك الأحد. ولا يمكن إنكار ذلك ببساطة.

والآن أسألك، ماذا كان ذلك؟ لم يكن خطأً، وليس اقترابًا من الموت، ولا مجرَّد خدعةٍ أو أكذوبةٍ، لم يكن هذيانًا جماعيًّا، ولا حلمًا أو رؤيةً أو شعورًا باطنيًّا بالغفران، لم يكن تفكيرًا حالمًا- لم يكن أيًّا من هذه الأمور. فماذا كان إذًا؟

انظروا، عندما نصل إلى الأمر، نجد الدليلَ أمامنا مباشرةً- إصرار المسيحيين الأوائل بكل يقين على أنّ القبر كان فارغًا وأنَّهم رأوا يسوع المُقام، والمعتقدات المغيِّرة للحياة التي تلت تلك الاختبارات، واعتناقهم الراسخ لإيمانهم حتّى في وجه الموت- هذا الدليل تفسِّره احتماليةٌ واحدةٌ:

لقد قامَ يسوعُ حقًّا من بين الأموات جسديًّا وتاريخيًّا.

انعكاسات يسوع المُقام

بالكاد يجدر بنا قول هذا، ولكنَّه أمرٌ يصعُب علينا تجاوزه بسرعة، أليس كذلك؟ إذ له أهميَّةٌ هائلةٌ، بل أبديةٌ أيضًا. لذا، ونحن نُنهي هذا الفصل، فلأذكر هنا ما قاله أحدُ الباحثين المشهورين جدًّا، أن. تي. رايت N. T. Wright الذي صاغَ نتيجةً مفيدةً جدًّا. اقرأ ببطء وبدقّة، وفكّر في الأمر بأكمله مرةً أخرى:

> بالتأكيد تبقى فكرة [قيامة يسوع] غيرَ مُثبَتةٍ منطقيًّا أو رياضيًّا، فلن يكون المؤرّخُ في موقعٍ يسمح له بالقيام بما فعله فيثاغورس... فلا يجري التعامل مع التاريخ بتلك الطريقة. فتقريبًا لا يُستبعَد شيءٌ بصورة تامَّة؛ فالتاريخ علاوةً على كلِّ شيء، هو في الغالب دراسةٌ غير عاديةٍ ولن

تتكرَّر. وما نبحث عنه هو وجود احتماليةٍ كبيرةٍ يمكننا الحصول عليه عبر فحص كلّ الاحتمالات والاقتراحات، والتساؤل عن مدى قدرتها الجيدة لتفسير الظاهرة. من الممكن دائمًا عند مناقشة قيامة شخصٍ ما أن ينتهي الأمر بحُلمٍ ناقدٍ متشكّكٍ: تفسيرٌ يقدِّم شرطًا كافيًا لازدياد إيمان المسيحيِّين الأوائل، ولكنَّه وفي مرحلة ما بعد التنوير المعرفية والفئات الوجودية أو حتّى في الفئات الوثنية السائدة، لا يساعد في التوضيح في المراحل الحرجة. من الجدير بالذكر أنه على رغم المحاولات اليائسة نوعًا ما من قِبل كثيرٍ من العلماء على مدار المئتي سنة الأخيرة (فضلًا عن النقّاد منذ سيلسوس على الأقلّ)، لم يجرِ العثور على أيّ تفسير. لم يخترع المسيحيون الأوائل فكرة القبر الفارغ و"مقابلات" أو "ظهورات" يسوع المُقام، من أجل تفسير إيمانٍ كان لديهم مسبقًا. لقد طوّروا ذلك الإيمان بسبب حدوث والتقاء هاتين الظاهرتين. لم يتوقع أحدٌ ذلك النوع من الأمور؛ فلا الحوار الذي اختبروه يولِّد مثل هذه الأفكار، ولا يوجد من اخترعها، بغضّ النظر عن مدى إحساسهم بمشاعر بالذنب (أو كيف يمكن أن يُغفر لهم)، وبغضّ النظر عن عدد الساعات التي قضوها في تمعُّن الكتب المقدَّسة. لاقتراح طريقةٍ أخرى يجب التوقّف عن التعامل مع التاريخ والدخول في عالمٍ خيالي خاص بنا، إلى تنافرٍ معرفيٍّ جديدٍ فيه تكون الحداثَةُ المتصلبة قلقةً بشدّة

> لأن تبدو النظرة العالمية إلى حقبة ما بعد التنوير في خطر انهيارٍ وشيك، وتضع استراتيجياتٍ لمساندتها رغم ذلك. وفي ما يتعلَّق بنوع الإثبات الذي يقبله المؤرّخون، فإنَّ القضيةَ التي عرضناها من مزيج القبر الفارغ والظهورات هي التي أنتجت العقيدة المسيحية، وهذا لا يحتمل أيَّ تفسيرٍ آخر.[٣٢]

لقد قطعنا شوطًا طويلًا في بحثنا في إمكانية ثقتنا في الكتاب المقدَّس، أليس كذلك؟ رغم أننا واجهنا أسئلةً عند كلّ مُنعطفٍ، فقد استطعنا الوصول إلى درجةٍ عاليةٍ من الثقة التاريخية بخصوص مصداقية الكتاب المقدَّس. وهذا ما رأيناه: ترجماتُنا صحيحةٌ؛ فالنسخ التي لدينا هي نُسخٌ طبق الأصل من النسخ الأصلية (أو على الأقل، هي التي تمنحنا القدرة على إعادة بناء الأصول)؛ الوثائق التي نبحثُ فيها هي الوثائقُ الأفضل والصحيحة؛ الكُتَّابُ أنفسُهم لم يكونوا سُذّجًا أو مخادعين أو كتّابَ رواياتٍ خيالية (كانوا يخبروننا بما آمنوا أنه حدَثَ حقًّا)؛ وأخيرًا، لدينا سببٌ وجيهٌ لتصديق أنّ ما اعتقدوها حدوثه وقالوا إنَّه حدَثَ، قد حدَثَ في الحقيقة. كما لا يمكن استبعادُ المعجزات التي سردوها من المعتقد الرئيسي، وقبولُها يفوقُ بكثير أيَّة رواياتٍ تاريخيةٍ لأحداثٍ خارقةٍ للطبيعة. وقبل كل شيء، عندما يتعلَّق الأمر بأهمّ معجزةٍ على الإطلاق- قيامة يسوع- لا يوجد تفسيرٌ له معنًى لجميع الأدلّة إلّا حدوثُ القيامةِ فعليًّا.

32) Wright, The Resurrection of the Son of God, 706–7.

ولكن إليكم هنا الخطوة الأخيرة في حُجَّتنا. إن كانت القيامة قد حدثَت، عندئذٍ ستقفز ثقتُنا بالكتاب المقدَّس إلى مستوًى جديدٍ تمامًا من الثقة، أبعد بكثير من مجرَّد الثقة التاريخية.

إذا كان يسوع قد قام حقًّا من بين الأموات، إذًا الكتاب المقدَّس هو كلمةُ الله.

الفصل ٧

اقْبَلهُ استنادًا إلى كلمة الرَّجُل المُقام

في بعض الجوانب، تمنيتُ إنهاء هذا الكتاب مع نهاية الفصل السابق.

أتمنى أن يكون شرحُ الأمرِ كلِّه قد ارتكز على ما ناقشناه للتَّو، لأنني أومن بأنَّه أهمُّ ادّعاءٍ للحقيقة في التاريخ البشري: أنَّه يمكننا وضع أفضل تفسير للدليل الذي أمامنا، طالما أنَّ يسوع قامَ فعليًّا بجسده من القبر. لذا، ومع أني أتمنى أن تُكمل قراءة الكتاب، فأتمنى أيضًا أن تكونَ قد اقتنعتَ بطريقة التفكير التي توصَّلت إلى تلك الخلاصة وانعكاساتها. إذا كان يسوع قام فعليًّا، فما تأثير ذلك فيك شخصيًّا؟ ماذا يمكن أن تفعلَ تجاوبًا مع هذا الواقع؟

ولكن ما دام عنوان هذا الكتاب "لماذا نثقُ بالكتابِ المقدَّس؟" وليس لماذا تثق بأنّ يسوع قام من بين الأموات؟ فيجب علينا متابعة هذا السؤال حتّى النهاية. في هذا الكتاب، فكّرنا وتحدَّثنا بشأن الوثائق الكتابيَّة- لا سيَّما العهد الجديد، وتحديدًا الأناجيل الأربعة- بوصفها وثائق تاريخية. وفي أثناء القيام بذلك، لم نفترض أنها وثائق إلهية أو أنها مُرسَلة من الله بأيّة طريقة. لم نفترض أنها كلمة الله، ولم نفترض أنها خالية من الأخطاء

أو صحيحة دائمًا. في الواقع، كما نفعل مع أيّة وثائق أخرى نجدها مدفونة تحت أنقاض قريةٍ قديمةٍ، سمحنا بأن تكون هناك احتمالية أن لا يُنظر إلى الوثائق الكتابية بصفتها موثوقة كونها شهاداتٍ تاريخية. ولكن عند كل منعطف، كنَّا نستنتج وبدرجةٍ عالية من الثقة التاريخية أنها تبدو موثوقةً فعلًا- من ترجماتنا، إلى نقلها من المستندات الأصلية عبر التاريخ بواسطة النُّساخ، إلى استقبال هذه الوثائق بدلًا من غيرها باعتماد مصداقيتها، إلى مصداقية الكُتَّاب أنفسهم، إلى حقيقة ما كتبوا عنه. من البداية إلى النهاية، أنشأنا سلسلةً قوية من الثقة تفضي بأنّ الكتاب المقدَّس موثوقٌ بوصفه شاهدًا على التاريخ.

ولكن عندما نقول نحن المسيحيين إننا نثق بالكتاب المقدَّس، لا نقول إنه لدينا يقينٌ تاريخي فيه، ولكن ما نعنيه أكثر من ذلك بكثير. وإذ نقصد أننا نؤمن بأنه كلمة الله الموحى بها من خالق الكون، لذا فهو صحيحٌ تمامًا ولا ريْبَ في كلّ ما كُتِبَ فيه. إليك مثالًا هنا، طريقة كنيستي في صياغة "بيان الإيمان":

> نحن نؤمن بأنّ الكتاب المقدَّس، تحديدًا ٣٩ سِفرًا في العهد القديم و٢٧ سِفرًا في العهد الجديد، هو كلمة الله المكتوبة؛ كَتَبَه رجالُ الله مَسوقين من الروح القدس، وهو كنزٌ من تعاليم سماوية؛ مؤلِّفُه هو الله، نهايته هي الخلاص، وهو حق دون وجود أي خطأ في مادَّته؛ إنه يكشف عن المبادئ التي سيحاكمنا الله بناءً عليها؛ لذلك سيبقى حتّى نهاية العالم، المركزَ الحقيقيَّ للاتّحاد

المسيحي، والقاعدة الوحيدة والكافية والمؤكّدة والموثوقة لكلّ المعرفة المخزونة والإيمان والطاعة.[٣٣]

كلُّ عضوٍ في كنيستنا يؤمن بأنّ الكتاب المقدَّس- بعهديه القديم والجديد- هو "كلمةُ الله المكتوبة"، وبأنّه كُتب على يد رجالٍ مسوقين من الروح القدس، وبأنَّه "كنزٌ من تعاليم سماوية"، وبأنّ "اللهَ مؤلِّفُه"، كما أنَّه هو بطبيعته "الحق دون وجود أيّ خطأ". من الواضح، أنّ كلَّ شيءٍ يقودُنا إلى الثقة التاريخية!

ليس لدينا الوقت والحيّز الكافيَين هنا لنفكر مليًّا في كل ما يقصده المسيحيون عندما يقولون تلك الأمور. فمواضيعُ مثل الوحي وعصمته من الخطأ، تطلَّبت كتبًا خاصةً بها. المهم هنا لتحقيق أهدافنا، هو أن نفهم أولًا لماذا يقول المسيحيون كلّ هذه الأمور العظيمة عن الكتاب المقدَّس. المسألة ببساطة، لأنه يسوع قام من بين الأموات. بسبب قيامة يسوع، نحن نؤمن بما قاله يسوع، وما دام يسوع أقرَّ بنفسِه بالعهد القديم كلِّه ومنحَ المصداقيَّة للعهد الجديد بأكمله، نحن نؤمن كثيرًا بأنها أسفارٌ حقيقيةٌ وموثوقةٌ.

سيقوم المسيًّا من الموت

تعني القيامة للمسيحيين، عدّة أمور مهمَّة. تعني أننا نحن الذين اتّحدنا مع يسوع بالإيمان سنقوم ثانيةً كما فعل هو. تعني أنّ الله قَبِلَ تمامًا

٣٣) "بماذا نؤمن"، الكنيسة المعمدانية في المنطقة الثالثة، لويفيل، كنتاكي، بتاريخ ٢٥ فبراير، ٢٠١٥.
"What We Believe," Third Avenue Baptist Church, Louisville, KY, accessed February 25, 2015, http:// www .third avenue .org /What -We -Believe.

الذبيحة التي قدّمها يسوع عن خطايانا على الصليب، وأنها كانت أكثر من كافية بكثير لدفع ديوننا الأخلاقية. كما تعني أنّ يسوع يعيش الآن ليقود وليحكم وليحمي وليشفع ولِيُحسِن إلى شعبه الذي ما يزال يعيش على الأرض. كما تعني القيامة أنّ الله صدَّقَ على جميع ادّعاءات يسوع عن هويته ونوع السلطان الذي لديه.

هذه النقطة سهلة الفهم. فمثل جميع المعجزات، لم تكن قيامةُ يسوع إضافةً زائدةً إلى القصة، أو مجرَّد احتياجٍ متأنّقٍ لضمان نهايةٍ جيِّدة. عندما تحدَّث يسوعُ عن القيامة، كان كثيرًا ما يربطُ وبشدَّة بينها وبين ادّعاءاته عن هويته. على سبيل المثال، يخبرنا متّى أنّ يسوع تنبأ بموته وقيامته ثلاث مرات قرب نهاية خدمته، وفي كلّ مرة كان يعرضها بوصفها تتويجًا ضروريًّا ومؤكِّدًا لهويته بأنّه المسيح. فلنلقِ نظرةً على هذه التنبؤات الثلاثة.

أولًا، ذاتَ مرة سألَ يسوعُ تلاميذه عمَّن كانوا يعتقدون أنَّه هو، فأجاب بطرس "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ" (متّى١٦:١٦). حاليًّا تحمل هذه العبارة عددًا كبيرًا من المعاني، ولكن في الأساس كان بطرس يؤكّد أنّ يسوع هو المسيَّا المُنتظر منذ زمنٍ طويل، والذي تكلَّمت عنه النبوءات منذ زمنٍ بعيد (معنى الكلمة "الممسوح"، ومن ثمَّ هو الملك)، مسيحُ إسرائيل، وهو ابن الله (أي أنَّه هو الله). فَرِحَ يسوعُ عند سماعِ ما قالَه بطرس، وأخبره بأنَّه مُبارَكٌ لأنّ اللهَ الآب بنفسِه هو مَن كَشَفَ له هذا الإعلان. ثم بدأ يسوعُ يتصرف كالملك الذي اعترف به بطرس للتو؛ أسَّسَ كنيستَه- سفارته المَلَكية في العالم- ووعدَ بأن يحميها ويقوّيها في مهمتها. أعطى تلك السفارة سلطانًا لتتحدث بِاسمه، ومن ثَم والأهم من

ذلك، بدأ بتعليم التلاميذ ماذا يعني أنه في الحقيقة الملك، المسيّا، المسيح. وهكذا يخبرنا متّى بالباقي (تذكّر، أنه كان هناك):

> مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ (متّى١٦:٢١).

لاحظ أولًا الطريقة التي صاغَ بها متّى الآية "مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ". يبدو أنّ هذا الحوار لم يكن حديثًا لمرةٍ واحدةٍ واستمرَّ خمس دقائق، ولكنَّه كان عنصرًا أساسيًّا في تعليم يسوع من ذلك الوقت فصاعدًا. كما لاحَظَ كلمة "ينبغي". "يَنْبَغِي" أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُقْتَلَ، و"ينبغي" أنه فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. لاحظ أيضًا كلمة "يُظْهِرُ". ما معنى أنه بدأ "يُظهِر" لهم ما ينبغي أن يحدث؟ من أين يُظهِر ذلك؟ هل مِن المنطق؟ أم بالإثبات؟ كلا، بدأ يُظهِر لهم من الكُتب المقدَّسة، من العهد القديم. حسنًا، هل ترى المغزى هنا؟ إنّ دور المسيّا ومهمَّته ومصيره لم يكن أمرًا "لم يتقرَّر بعد"؛ لقد وضّح يسوع أنه كان معروفًا جيّدًا في العهد القديم، وأحد الأمور التي سيفعلها المسيَّا الحقيقي هو أنه سيقوم من الموت. كان يسوع يقول إنَّ "المسيَّا سيقوم من الموت. فإذا لم أَقُم من الموت، إذًا أنا لستُ المسيَّا. ولكنني سأقوم، إذًا..." لا بدَّ أنك فهمت الفكرة.

تنبَّأ يسوعُ بموته للمرة الثانية بعد بضعة أيام، وفي هذه المرَّة ربطها بنبوةٍ أخرى من العهد القديم عن المسيَّا. هكذا يسجّلها متَّى:

وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ" فَحَزِنُوا جِدًّا (متّى١٧:٢٢-٢٣).

يبدو أنّ عبارة "ابن الإنسان" كانت الطريقة المفضَّلة عند يسوع ليتحدث بها عن هويَّته، ولكنَّها لا تعني فقط "ابن الإنسان". بل إنّها تصفُ الكثيرين منّا. بدلًا من أن يأخُذَ اللقبَ من النبي دانيال في العهد القديم، الذي رأى رؤيا لِما سيدعوه "شخصٌ مِثْلُ ابنِ إنسانٍ". ببساطة، هذا يعني أنّ الشخص الذي رآه دانيال يُشبه الإنسان. ولكن لاحظ ما يقوله دانيال عمّا فعله "ذاك الذي يشبهُ ابنَ إنسان":

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ. (دانيال٧:١٣-١٤)

هذا ما كان يسوع يشير إليه عندما دعا نفسَه ابنَ الإنسان. هذا اللقب المهم جدًّا لا يشير فقط إلى السلطان المـَلَكي، وإنَّما إلى اللاهوت نفسه. ولكن الأمر الأهم الذي يخدم أهدافنا، لاحظ مرةً أخرى كيف ربط يسوع كلّ هذه التلميحات تحديدًا بالقيامة في العدد الوارد أعلاه في متّى١٧:٢٢. كلا، هنا لم يستخدم كلمة "ينبغي"، ولكنَّ النتيجةَ هي ذاتُها. فهو يعني "تمامًا كما تنبَّأ العهد القديم، سيُقتلُ ابنُ الإنسانِ ويقومُ ثانيةً في اليوم الثالث. إذا لم يحدث هذا، في هذه الحالة لا أكونُ أنا ابنَ الإنسان.

ولكنَّني أنا هو ابنُ الإنسان، ولذلك كلُّ هذا سيحدث".

المرَّة الثالثة التي تنبَّأ فيها يسوع عن قيامته في إنجيل متّى كانت قبل ذهابه إلى أورشليم مباشرةً، قبل أيامٍ فقط مِن صَلبه. إليك ما قالَه يسوع بحسب البشير متّى:

> وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ أَخَذَ الاِثْنَيْ عَشَرَ تِلْمِيذًا عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ لِكَيْ يَهْزَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصْلِبُوهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ (متّى٢٠:١٧-١٩).

ما مِن جديدٍ هنا. فيسوعُ هنا يصيغ النقطة نفسها التي أدلى بها في التنبؤ السابق "هذا ما سيحدث، لأني أنا هو ابن الإنسان".

هل ترى؟ لطالما ربطَ يسوعُ قيامَته بهويَّته. إذا حدث ذلك، عندئذٍ يكون هو المسيَّا، المسيح، الملك، ابن الإنسان. إذا لم يحدث ذلك- حسنًا إذًا، انسَ الأمر. بعد القيامة قامَ التلاميذ بالشيء نفسه. فعظة الرسول بطرس في أعمال الرسل٢ واضحةٌ وضوح الشمس في هذا الصدد. إليك ما قاله:

> أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّمًا بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ

وَعِلْمِهِ السَّابِقِ وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ. لأَنَّ دَاوُدَ يَقُولُ فِيهِ:

كُنْتُ أَرَى الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ أَنَّهُ عَنْ يَمِينِي لِكَيْ لا أَتَزَعْزَعَ. لِذَلِكَ سُرَّ قَلْبِي وَتَهَلَّلَ لِسَانِي. حَتَّى جَسَدِي أَيْضًا سَيَسْكُنُ عَلَى رَجَاءٍ. لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلا تَدَعَ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا. عَرَّفْتَنِي سُبُلَ الْحَيَاةِ وَسَتَمْلأُنِي سُرُورًا مَعَ وَجْهِكَ.

أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ. فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا. فَيَسُوعُ هَذَا أَقَامَهُ اللهُ وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذَلِكَ. وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ سَكَبَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ. لأَنَّ دَاوُدَ لَمْ يَصْعَدْ إِلَى السَّمَاوَاتِ. وَهُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ:

قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ.

فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا (أعمال الرسل٢:٢٢-٣٦).

هل ترون ما يقوله؟ هنا يكمن الجوهر: "أيُّها الرجال أنتم قتلتُم يسوعَ، ولكنَّ الله أقامَه وأعاده إلى الحياة ثانيةً، إذ يستحيلُ على الموتِ أن يُمسك به. لماذا؟ لأنَّه كما قال داود، لن يَدع اللهُ المسيَّا يرى فسادَ الموت. لا يمكن أن يكون داود يتحدث عن نفسه بوصفه هو المسيَّا، لأنَّه ماتَ ودُفِن ونحن نعلم مكانَ قبره إلى هذا اليوم. إذًا لا بدَّ أنه كان يتحدث عن مسيَّا آتٍ في المستقبل. حسنًا، خمِّن. أقام اللهُ يسوعَ هذا- ونحن جميعًا شهودُ عيان على تلك الحقيقة. لذلك، ولأنّ المسيَّا سيقوم، ولأنّ يسوع قام، فَلْيَعْلَمْ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا".

لا يمكن أن تكون رسالةُ بطرسَ أوضحَ من ذلك. لقد أُقيمَ يسوع من بين الأموات، لذلك يسوع هو المسيح، تمامًا كما قال.

ما معنى القيامة في ما يخصُّ العهد القديم؟

ما علاقة قيامة يسوع وتحديد هويَّته بصفته المسيح بالكتاب المقدَّس؟ كلُّ شيء. علَّمنا العهد القديم أنّ سلطان المسيَّا سيكون شاملًا، متعدّدَ الجوانب، وعالميًّا ومُطلَقًا. وسوف يسود على كلِّ جوانب الحياة والوجود. ولكن هناك جانبًا محدَّدًا سيكون له فيه السلطان، وهو الحديث بالنيابة عن الله الآب. بعبارةٍ أخرى، سيكون نبيًّا بامتياز. بل وقد قال الله إنه سيرسل نبيًّا مثل موسى ووَعَدَ "وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا

أُوصِيهِ بِهِ" (تثنية١٨:١٨). لهذا السبب استطاع يسوع أن يقول كلامًا جريئًا مثل "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلَّا مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنَّ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الاِبْنُ كَذَلِكَ" (يوحنا٥:١٩). وهذا هو السبب الذي جعل يوحنا يقول عن يسوع "لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكلاَمِ اللَّهِ" (يوحنا٣:٣٤). كان المسيح أيضًا النبيّ، الشخص الذي يكشف بإتقان عن شخص الله وما يقوله الله. بإدراك ذلك، سيكون من الرائع أن نرى كيف تعامل يسوع- المسيح، النبي، الشخص الذي لديه السلطان ليتحدث بالنيابة عن الله- مع العهد القديم في أثناء خدمته. خذ على سبيل المثال، رواية لوقا عمّا قاله يسوع لتلاميذه بعد القيامة:

> وَقَالَ لَهُمْ: "هَذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ" (لوقا٢٤:٤٤).

كثيرًا ما استخدمَ اليهودُ اختصارًا للإشارة إلى أسفار عهدهم القديم، إمّا "الناموس والأنبياء والكتابات"، أو ببساطةٍ أكثر "الناموس والأنبياء". لذلك، عندما قال يسوع إنّه ينبغي إتمام "ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (يمثّل سِفر المزامير الكتابات بصفته السفر الأكبر في المجموعة)، كان هذا إقرارًا وتصديقًا على سلطان العهد القديم بأكمله من بدايته حتّى نهايته. (بالمناسبة، كان أيضًا يحدّد بوضوح نطاق قانونية العهد القديم ليكون ٣٩ سفرًا المُعترف بها تقليديًّا من قِبَل اليهود).

ولكنَّ شهادةَ يسوع عن العهد القديم تمتدّ إلى أعمق من ذلك بكثير.

لم يكن يعتقد أنه موثوق فقط، ولكنَّه قال إنه كلمة الله نفسه. انظر هذا المقطع من إنجيل متّى١٩:

> وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: "هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟" فَأَجَابَ: "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟" وَقَالَ: "مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ" (متّى١٩:٣-٦).

القصة هنا هي أنَّ بعض قادة إسرائيل كانوا يستجوبون يسوع عن فهمه للكتاب المقدَّس. من الواضح أنهم لم يكونوا مهتمين بما قد يقوله وإنّما انصبَّ تركيزُهم على محاصرته وتشويه سمعته. إنّ الطريقة التي حدث فيها التبادل رائعة في حدِّ ذاتها، ولكن ما أريدك أن تراه هو أنّ يسوعَ حدَّد الشخص الذي قالَ "مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ" هو الذي "خَلَقَهُمَا [زوجًا وزوجة]". ولكن الأمر المثير للاهتمام، إذا عُدتَ إلى سِفر التكوين، ستُلاحظ أنّ هذه العبارة لا تُنسَب إلى الله إطلاقًا. وإنَّما كانت تعليقًا بشريًّا من كاتب سِفر التكوين على حالةٍ معيَّنة. ولكن هنا تكمن النقطة: فهِمَ يسوع حتّى أجزاء العهد القديم التي لم يكن يتحدَّث فيها الله فعليًّا.

يمكنك رؤية الأمر نفسه في إنجيل مرقس١٢:٣٦ حيث اقتبس يسوعُ مزمورًا كتَبَه داود، ولكن استهلَّه بالقول "لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ..." هل ترى؟ من البداية إلى النهاية، أيّدَ يسوعُ المسيَّا وأكّد أنّ

كلَّ كلمةٍ من العهد القديم كانت هي كلمةَ الله، هكذا كلُّ كلمةٍ فيه حقيقيةٌ من البداية إلى النهاية. هذه هي الحال لتعليمه الخاص عن الله، وبحسب يسوع أيضًا كانت هذه هي الحال أيضًا في ما يخص الادِّعاءات التاريخية. في مرحلةٍ ما في الأناجيل الأربعة، يتحدَّث يسوعُ ويُعامل بدقّة تاريخية جميع أنواع الناس والقصص من العهد القديم- آدم وحواء، قايين وهابيل، نوح، إبراهيم، سدوم وعمورة، إسحاق، يعقوب، موسى، والمنّ النازل من السماء في البريّة، الحيّة النحاسية، داود وسليمان، ملكة سبأ، إيليا وأليشع، أرملة صِرفة، نعمان، إشعياء، إرميا، زكريا، وحتّى يونان الذي ابتلعتهُ سمكةٌ عملاقة.

لقد آمن بها جميعها وبكلّ التفاصيل، وهذا أمرٌ مهمٌّ لأنه كان المسيح.

الآن بعض الناس سيتعثّرون أحيانًا في هذه النقطة قائلين "ولكن واقعيًّا، ألم يُصحِّح يسوع بعض الأمور في العهد القديم؟ ألم يعتقد أنّ هناك بعض الأمور التي كانت خاطئة أو غير كافية وقال لأتباعه أن يؤمنوا بأمرٍ مختلف؟" حسنًا، كلا. حتمًا كانت هناك أوقاتٌ قال فيها يسوع أمورًا مثل "سمِعتم أنه قيل... وأمّا أنا فأقول..." ليس لدينا الوقت الكافي للتأمل في هذه الأحداث بالتفصيل (يمكنك العثور على تفسيرات وافية في التعليقات المرافقة لأيّ كتابٍ مقدَّس)، ولكن الأمر الذي يجب إدراكه أنّ يسوع في كلٍّ من هذه النقاط، لم يكن يصحِّح العهد القديم، بل كان يُصحِّح خطأ الفريسيين وخداعهم بل حتّى محاولاتهم الخبيثة لتفادي المعنى الحقيقي للعهد القديم، أو انتقاء بعض الاستثناءات السخيفة لأنفسهم. هذا يعني، بدلًا من تصحيح العهد القديم، كان يسوعُ يمارس سلطتَه المُلوكية والنبوية ليقول المعنى الحقيقي لما يُقال في العهد القديم

أولًا- هذا يؤكّد قوة العهد القديم وسلطته والحقّ في حياة بني إسرائيل. وهكذا وضّح قبل أن يبدأ موعظته الشهيرة على الجبل "لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ (متّى٥:١٧).

هل ترى ما أريد قولَه هنا؟ بالتأكيد لا يزال هناك بعض الأسئلة بشأن التأويل والتفسير، وكيف ينبغي أن نفهم هذا وكيف يتلائم ذاك مع الحياة المسيحية والعهود والإعفاءات والبقية. وكذلك فإنَّ العهد القديم يعرض قضايا فريدة من نوعها إزاء التناقل والتقديس والتأليف، ويمكنك قراءة كتب كبيرة كتبها علماء مسيحيون عن جميع هذه المواضيع. ولكن إليك هنا الأمر المهم. لماذا تبدأ جميع هذه الكتب الكبيرة بالاعتقاد أنّ العهد القديم هو كلمة الله؟ لأنّ يسوع، المسيّا المُقام قال ذلك. ولهذا السبب نحن نؤمن به.

ما معنى القيامة في ما يخصُّ العهد الجديد؟

والآن ماذا عن العهد الجديد؟ بصراحة، لا تبدو الأمورُ واضحةً عندما يتعلق الأمر بالعهد الجديد. فبعد كلّ شيء، عندما كان يسوع على الأرض ربما أكّد شفهيًّا سلطان العهد الجديد، تمامًا كما فعل مع العهد القديم. فالعهد الجديد لم يكن قد كُتِبَ بعد.

ومع ذلك، الإيمانُ المسيحيُّ بأنّ العهدَ الجديد هو كلمةُ الله يعودُ إلى سلطان يسوع بصفته المسيَّا المُـقام، وبطريقةٍ مختلفة قليلًا فقط. هل تذكُر في الفصل الرابع من هذا الكتاب كيف قلنا إنّ المسيحيين الأوائل قد تحدّثوا دائمًا عن موثوقيَّة الأسفار التي سُلِّمت إليهم وقانونيَّتها، وأنّ المعيار الأساسي الذي استخدموه للدفاع عن تلك الأسفار هو أنّ لديهم

سلطانًا رسوليًّا؟ في تلك المرحلة، لاحظنا ببساطة منطقيَّة ذلك التأكيد باعتباره مسألةً تاريخيةً؛ فمن المنطقي بالتأكيد أن يكون هناك أعلى مستوًى من الثقة بالأسفار التي خُتِمَ عليها بموافقة شهود عيان.

ولكن ليس هذا السبب الوحيد- أو حتّى الرئيسي- أنَّ الرسولية كانت هي معيار الكنيسة الرئيسي لتأكيد السلطة الحصرية لتلك الأسفار المُسلَّمة. مرةً أخرى، السبب الرئيسي يعود إلى سلطان يسوع.

هل ترى في يوحنا ١٦، عندما كان يسوع يعطي رُسُلَه التعليمات الأخيرة، لقد وعدَ أنّه بعد قيامته وصعوده إلى السماء، سيُرسل الروح القدس لينقل لهم المزيد من التعليم الذي يريدهم أن يعرفوه. إنه بالفعل مقطعٌ استثنائي:

> ”إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ“ (يوحنَّا ١٦: ١٢-١٥).

إنَّها سلسلةٌ مذهلةٌ من سلطانٍ يضع يسوعُ بناءً له، أليسَ كذلك؟ كلّ شيءٍ يجب أن يقوله، هو من الآب (هنا نجد السلطة النبويَّة مرَّةً أخرى)، وسوف يُعطي كلّ ما يأخذه من الآب للروح القدس، الذي بدوره سيُعلن كلَّ ذلك للرسُل. هل ترى؟ هنا يُخبر يسوعُ تلاميذه أنّ هناك المزيد من التعليم سيأتي، وسيأتي إليهم هم بالتحديد. من المثير للاهتمام

أن نرى كيف أنّ الرسُلَ أنفسَهم في كتاباتهم، أدركوا على ما يبدو بأنهم يكتبون بذلك النوع من الوحي الإلهي، سُلطة صياغَة الكُتب المقدَّسة. أحد المقاطع المهمَّة جدًّا في رسالة الرسول بطرس الثانية، الأصحاح الثالث، حيث يشجّع الرسول بطرس قرَّائه على الثبات والصمود حتّى النهاية. ومن ثم يقول:

> وَاحْسِبُوا أَنَاةَ رَبِّنَا خَلاَصًا، كَمَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هَذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمْ (١بطرس: ١٥-١٦).

من الطريف أن يشيرَ بطرس إلى اعتقاده أنّ كتابات بولس كانت "صعبة الفهم". وأحيانًا قد يكون لدى كثيرٍ من المسيحيين الشعور نفسه! ولكن يقول بطرس أيضًا إنّ بولس كَتَبَ "وفقًا للحكمة المـُعطاة له. كما يفعل في جميع رسائله". الحكمة التي يتحدث عنها ليست مجرَّد حكمةٍ عادية؛ ولكنَّها صدًى لوعد يسوع للتلاميذ بأنه سيرسل الروح القدس ليقودهم إلى كلِّ الحقّ. وفي النهاية، يقول بطرس إنّ الناس "غير العلماء وغير الثابتين" سيُحرِّفون أحيانًا كلمات بولس لغاياتهم الخاصة كما يفعلون مع الأسفار الأخرى! من الواضح أنّ بطرس كان يضع كتابات بولس على مستوًى استثنائي من السلطان مثل أسفار العهد القديم. فقد كانت تستوفي تمامًا ما وعد بأن يفعله يسوع بواسطة الروح القدس.

إنّ سلسلة السلطة هذه تفسّر سبب تأكيد المسيحيين الأوائل بشدَّة على الاحتياج لتتبُّع الوثائق القانونية التي تعود إلى الرسل. لا يقتصر الأمرُ على مجرَّد أنَّهم كانوا شهود عيان؛ ولكن لأنَّهم هم تحديدًا وبصفةٍ خاصة أخذوا السلطان من الملك لتعليم الكنيسة ببقية ما أرادَ تعليمهم إياه.

استنتجنا في الفصل الرابع أنَّه يمكننا الثقة وبشدّة بأنّ أسفار العهد الجديد هي في الحقيقة الأسفارُ التي تحمل هذا النوع من السلطان. يمكنك الرجوع إليه وقراءته مرةً ثانية إذا احتجت إلى ذلك، افعل ذلك. في الواقع، لدينا الكثير من الأدلّة التاريخية في الكُتب الصحيحة. ولكن الجدير بالذكر أنَّنا نحن المسيحيين هو أنَّ ثقتنا بكَون العهد الجديد يمثّل تمامًا ما قصَده يسوع أن يكون لدينا لا تعتمد فقط على الأدلّة التاريخية؛ ولكنَّها تعتمدُ على مفهوم أنّ جزءًا من عمل الروح القدس هو أن "يُرْشِدكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ" (يوحنا ١٣:١٦)، ومن ضمنه توجيه عملية اختيار قانونيَّة الأسفار المقدَّسة أيضًا. بمعنى، بمجرَّد أن تصل إلى خلاصةٍ مفادُها أنّ يسوع قام من بين الأموات لذلك هو ملكُ الكون، سيكون من السهل استنتاج أنه قادرٌ بحق على التحقُّق من أنَّ "جَمِيعِ الْحَقّ" الذي وعد به قد جرى جَمعُه بدقّة.

إليكم الأمر إذًا. إذا كان يسوعُ قد قامَ من بين الأموات، إذًا هو بامتياز المسيَّا المُنتظَر والمسيح والملك وابن الله والنبيّ. وإذا كان ذلك صحيحًا، فينبغي أن نصغي إليه باهتمام، بما فيه تأييده لكلّ العهد القديم باعتباره كلمة الله. ليس ذلك فحسب، ولكن لدينا كلُّ الأسباب لأن نثقَ بأنَّه فعلَ تمامًا ما وَعَدَ به- يرسلُ الروحَ القدس ليرشد تلاميذه إلى كلِّ الحقّ الذي أراد أن يُعلنَه لهم من أجل خير الكنيسة- لذلك نثق بعمل الروح القدس في قيادة الكنيسة لإدراك ذلك الحقّ.

لذلك، في النهاية ستكون الإجابة التي يقدِّمها المسيحيُّ المؤمن عن ذلك السؤال: "لماذا نثق بالكتاب المقدَّس؟" هي، "لأنّ يسوعَ الملكَ المُـقام قد أيَّدَ العهد القديم وأقرَّ سُلطة العهد الجديد". وهذا ليس افتراضًا، ولا عدم تفكير، كأن تُغمض عينيك وتقفز قفزة إيمان. ولكنَّه نتيجةٌ مدروسةٌ مبنيَّةٌ على حُججٍ دقيقةٍ هي:

١. إنَّ الكتابَ المقدَّس موثوقٌ تاريخيًّا.
٢. إنَّ يسوعَ قد قامَ من بين الأموات.
٣. ومن ثِمَّ كلُّ الكتاب المقدَّس يعتمد على سُلطان يسوع.

لهذا السبب أنا أومن به.

لهذا السبب أنا أثق به.

كلمة أخيرة

السؤال التالي

كما قُلتُ في بداية هذا الكتاب، إذا كنتَ لا تؤمن بالمسيح، أتمنى وبشدّة أن يكون هذا النقاش قد تحدّاك لتفكّر في المسيحيين وفي الكتاب المقدَّس ببعض الطرق التي قد تختلف قليلًا عن الطريقة التي كنتَ تفكّر بها في الماضي. أرجو أن تكون قد أدركتَ أننا نحن المسيحيين لا نؤمن بما نقوم به دون أسبابٍ أو بناءً على مجرَّد افتراضاتٍ لا مبرّر لها. على الأقلّ، أتمنى أن تقول الآن "ربما هناك المزيد في الإيمان المسيحي، أكثر مما ظننتُ في البداية".

ولكنَّني أرجو أيضًا ألَّا تكون هنا نهاية اكتشاف المسيحية. حتّى وإن كانت قراءتك لهذا الكتاب قد زادت قليلًا من تقديرك لمصداقيَّة الكتاب المقدَّس، فأتمنى أن تخصِّص الوقت الكافي للانتقال إلى السؤال التالي والأهم: من هو ذلك الشخص الذي يدور حوله الكتاب المقدَّس ويتحدث عنه مرارًا وتكرارًا بصفةٍ خاصة؟ من هو يسوع؟

ماذا قالَ عن نفسه؟ وما أهمية الأمر؟ في النهاية، التوصّل إلى النتيجة التي تؤكّد مصداقية الكتاب المقدَّس هي مجرَّد وسيلة لخلاصةٍ أخرى: أنّ يسوعَ نفسَه موثوقٌ. أعتقد أنّ الرسول يوحنا يقولها بصورةٍ أفضل:

وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ (يوحنا٢٠:٣١).

IX 9Marks

لبناء كنائس سليمة

تسعى خدمة ''العلامات التسع'' إلى تمكين قادة الكنيسة برؤية كتابيَّة ومصادر عمليَّة لإظهار مجد الله للشعوب بواسطة كنائس سليمة.

ولتحقيق هذا نُريد أن نرى الكنائس تتَّسم بهذه العلامات التسع التي تدلُّ على سلامتها:

١. الوعظُ التفسيريُّ.
٢. علمُ اللاهوت الكتابيُّ.
٣. فهمٌ كتابيٌّ لبشارة الإنجيل.
٤. فهمٌ كتابيٌّ للاهتداء.
٥. فهمٌ كتابيٌّ للكِرازة.
٦. فهمٌ كتابيٌّ لعضويَّة الكنيسة.
٧. فهمٌ كتابيٌّ للتَّأديب الكنسيِّ.
٨. فهمٌ كتابيٌّ للتَّلمذة والنموِّ.
٩. فهمٌ كتابيٌّ لقيادة الكنيسة.

يمكنك زيارة موقعنا باللغة الإنكليزيَّة www.9Marks.org لتجدَ جميعَ منشوراتنا بالتعاون مع الناشر (Crossway)، وغيرها من المصادر الأخرى.

لنتعلَّم كيف ندافع عن حق كلمة الله

يعرضُ غيلبرت في هذا الكتاب الموجَّه إلى المسيحيِّين وغير المسيحيِّين على حدٍّ سواء، حُججًا قويَّةً تدعمُ مصداقيَّة الكتابِ المقدَّس، وبذلك يزوِّد المؤمنين بأداواتٍ هامَّة تساعده للوصول إلى عالَمٍ متشكِّك".

جوش ماكدويل (Josh McDowell)، كاتبٌ ومتحدِّث

"بلغةٍ سهلةٍ، لماذا يمكنُنا الوثوق بالكتابِ المقدَّس وبما يقوله عن الحياة".

داريل. إل. بوك (Darrell L. Bock)

المديرُ التنفيذي لمركز هوارد. جي. هندريكس (Howard G. Hendricks) للارتباط الثقافي، وأستاذٌ باحثٌ في دراساتِ العهد الجديد في كلية لاهوت دالاس (Dallas Theological Seminary)

"إنّه مكتوبٌ بطريقةٍ مدروسةٍ جيِّدًا ومبسَّطةٍ. إنَّ هذا الكتابَ واحدٌ من المراجع التي أوصي بها للباحثين الجادّين والمؤمنين الجدد".

جي. دي. غرير (J. D. Greear)

قسّ كنيسة القمة (The Summit Church)، دورهام، كارولاينا الشمالية

"يُعدُّ هذا الكتاب مصدرًا مهمًّا لتجهيز المسيحيّين للدفاعِ بحماسٍ عن الكتاب المقدَّس، كما يتحدَّى المتشكِّكينَ ليعيدوا النظر في موقفهم. لقد استفدتُ إلى حدٍّ كبيرٍ من قراءة هذا الكتاب".

كريستيان ويغيرت (Christian Wegert)

قسّ راعي، آرك جيمايند (Arche Gemeinde)، هامبورغ، ألمانيا

غريغ غيلبرت (Greg Gilbert) يحمل شهادة الماجستير في الإلهيَّات (M.Div) من كلِّيَّة سَدرن بابتِست المعمدانيَّة للدراسات اللاهوتيَّة (Southern Baptist Theological Seminary)، وهو الراعي المسؤول في كنيسة ثيرد آفِنيو المعمدانيَّة (Third Avenue Baptist Church)، في لويسفيل، كنتاكي. ألَّف عددًا من الكتب، وشارك كيفن دي يونغ (Kevin DeYoung) في تأليف كتابٍ عن مهمَّة الكنيسة.

CROSSWAY
www.crossway.org